

تاريخ المسلمين

فى أفريقيا - ومشكلاتهم

(الحائز على الجائزة الأولى فى مسابقة خدمة الدعوة والفقة
الإسلامى لوقف المستشار الدكتور / محمد شوقى الفنجري)
لعام ١٩٩٤)

تأليف

دكتور

عبد الله عبد الرازق إبراهيم

أستاذ التاريخ بمعهد البحوث والدراسات

الأفريقية

بجامعة القاهرة

ووكيل المعهد للدراسات العليا

دكتور

شوقى عطا الله الجمل

أستاذ التاريخ بمعهد البحوث والدراسات

الأفريقية

بجامعة القاهرة

جميع الحقوق محفوظة للمؤلفين

(١٩٩٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

علاقات العرب بأفريقيا - قديمة تمتد جذورها إلى أقدم عصور التاريخ ، وقد ساعدت العوامل الجغرافية ، والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على قيام واستمرار هذه العلاقات .

ولما بزغ نور الإسلام في شبه جزيرة العرب كانت الحبشة - بشرق أفريقيا الدولة التي أمر الرسول ﷺ أتباعه بالهجرة إليها فهي كانت معروفة للمسلمين ، وتعددت بعد ذلك هجرة المسلمين للسهول المحيطة بالحبشة ، ولغيرها من المناطق الأفريقية .

وكان فتح مصر إيذاناً باندفاع التيار الإسلامي إلى شمال القارة وغربها ، وكذلك جنوباً إلى بلاد النوبة والسودان ، وانتشر الإسلام بهدوء ودون اللجوء للقوة إلى مناطق شاسعة من القارة الأفريقية ، وكان للتجارة بين شمال القارة والأقاليم الواقعة جنوب الصحراء الكبرى دورها في نشر الإسلام والثقافة ، تماماً كما كان لها نفس الدور حينما مارسها التجار العرب في المحيط الهندي بين آسيا والساحل الشرقي للقارة .

وبرزت مدن تجارية ومراكز حضارية في غرب القارة كما برزت مدن على ساحلها الشرقي .

وساعدت جماعات ممن اعتنقوا الإسلام من هنود وباكستانيين وغيرهم في نشر الإسلام في إفريقيا فقد انتقلوا إليها واستوطنوا مناطق في شرقها أو جنوبها ، كما ساعدت جماعات كالبربر والطوارق ممن إعتنق الإسلام - رغم أنهم قاوموه في البداية- في نشر الإسلام وحملوا رايته إلى مناطق بعيدة في القارة الأفريقية بل منهم من ساهم في نشر الإسلام في خارج القارة الأفريقية وفي غيرها من القارات .

ومع الإسلام - انتشرت الحضارة الإسلامية واللغة العربية بين الزوج وغيرهم

من سكان القارة الأفريقية ، فأصبح المسلمون فى أفريقيا - وقد وصل عددها إلى ما يقرب من نصف سكان القارة - أكثر شعوبها حضارة وتقدماً وأصبحوا رسل الحضارة لغيرهم من مواطنى القارة ، وأصبحت العربية فى مقدمة اللغات التى يتحدث بها غالبية عظمى من سكان القارة ، وقد اعترفت بذلك منظمة الوحدة الأفريقية حين قامت فى عام ١٩٦٣ م ، فكانت اللغة العربية فى مقدمة اللغات التى كُتِبَ بها ميثاقها .

والمسلمون فى أفريقيا اليوم يواجهون مشكلات - سواء فى الدول الأفريقية الإسلامية التى يُمثلون فيها أغلبية أو فى الدول الأفريقية غير الإسلامية التى يمثلون فيها أقلية - ودراسة هذه المشكلات وأسبابها هى الخطوة الأولى لحلها .

وهذا البحث يهدف إلى إعطاء فكرة متكاملة عن تاريخ المسلمين فى أفريقيا ، ومشكلاتهم .

وهو يعتمد على عدد كبير من المصادر والمراجع العربية والأجنبية ، ويتبع المنهج التحليلى الذى لا يقف عند حد سرد الأحداث ، كما يلتزم بالموضوعية التى تتطلبها البحث العلمى .

والله الموفق .

الباحثان

تمهيد

دخول الإسلام في أفريقيا والطرق التي سلكها في انتشاره في القارة

تبلغ مساحة القارة الأفريقية ٠٠٠ ر ٧٠٠ ر ١١ ميلاً مربعاً أى ٣ ر ٢٢ ٪ من مساحة اليابسة ، ويبلغ عدد سكانها أكثر من مائتين وثلاثين مليون نسمة أى حوالى ١٠ ٪ من سكان الكرة الأرضية^(١) .

ولا يفصل قارة أفريقيا عن شبه جزيرة العرب - مهد الإسلام - إلا شُقه ضيقة من الماء متمثلة في البحر الأحمر الذى كان عامل وصل أكثر منه عامل فصل ، أما المحيط الهندى فكما سنوضح بعد - كان مجالاً لنشاط العرب منذ أقدم العصور .

ولذلك فعلاقة العرب بأفريقيا ترجع إلى العصور القديمة ، فمنذ زمن بعيد - يصعب تحديده بالدقة - جاء العرب إلى الساحل الشرقى لأفريقيا من الجزيرة العربية ، خاصة من الأقاليم الساحلية المواجهة لهذا الساحل الأفريقى الشرقى ، واستقر بعضهم في هذه المناطق الأفريقية وأصبحت لهم تجارة زاهرة ، وكونوا إمارات عربية في شرق أفريقيا شهد بعظمتها وبتحضرها كل من زارها من الرحالة العرب والأجانب على السواء .

وإذا علمنا أن المسافة بين زنجبار ، وعدن لا تتجاوز ١٧٠٠ ميل ، وبينها أى بين زنجبار ومسقط ٢٢٠٠ ميل تقريباً - أدركنا أن الإمتداد العربى لهذه الجهات

(١) محمد عبد الغنى سعودى (دكتور) : أفريقية - دراسة في شخصية القارة ، وشخصية الإقليم (١٩٨٣) ص ب .

الأفريقية - كان شيئاً طبيعياً . فالقبائل القريبة من الساحل الأفريقي الشرقى أو كما عبّر عنها كوبلاند بالجيران (Next Door Neighbours) كان لابد لها أن تتمدّد نشاطها وتجارتها ، وتنقل حضارتها الى سواحل أفريقيا الشرقية (١) . .

وبالإضافة إلى عامل الجوار - فهناك عامل جغرافى مناخى آخر - ساهم فى هذا الوقت المبكر فى قيام هذه العلاقات بين العرب القاطنين فى الجزيرة العربية ، وبين سكان السواحل الشرقية لأفريقيا ، ففى ديسمبر تهب الرياح التجارية من الشمال ، والشمال الشرقى ويستمر هبوبها بانتظام حتى نهاية فبراير ، ومن أبريل إلى سبتمبر تنعكس المسألة فتهب رياح شديدة من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى ، من زنجبار إلى مدخل خليج عدن - فقد أصبح التجار الذين يبدأون رحلاتهم فى سفنهم الشراعية من الشاطئ العربى فى الشتاء يستعينون بقوة الرياح المؤاتية فى سفرهم جنوباً صوب الساحل الأفريقى ، بينما فى أثناء عودتهم لأوطانهم فى الربيع - بعد أن يكونوا قد قضوا بضعة شهور فى التجارة - يجدون أيضاً الرياح مؤاتية للإتجاه صوب الوطن الأصىلى ويمضى الزمن أصبحت للتجار والبحارة العرب خبرة تامة بمواقيت الرياح وإتجاهاتها ، وأصبحت رحلاتهم من شبه الجزيرة إلى الساحل الأفريقى ، ومدة إستقرارهم بهذا الساحل تُنظم تنظيمًا دقيقًا تبعًا لمواسم الرياح المنتظمة المعروفة لهم . .

كذلك من الأسباب الرئيسية التى دفعت سكان السواحل العربية للخروج من شبه جريزتهم (العثمانيون ، والحضارمة على وجه الخصوص) - أنهم نشأوا فى بيئة بحرية مثالية فى جنوب الجزيرة العربية ظهيرها طارد ، فكان طبيعياً أن يتسللوا إلى شرق أفريقيا فى مجموعات صغيرة أنتشرت فى المبدأ فى بعض الجزر الساحلية مثل مافيا ، وزنجبار ، وبمبا ، وفى المراكز الساحلية مثل سُفّاله ، ومالندى، وكلوة ، ومبسه، ودار السلام ، واستطاعت هذه المجموعات أن تطبع مناطق واسعة من شرق القارة بلغتها وحضارتها وأن تندمج فى السكان الأصليين (٢) .

(١) . Coupland , R . : East Africa and Its Invaders (London 1938) p .

(٢) محمد صفى الدين (دكتور) : أفريقيا بن الدول الأوربية (القاهرة ١٩٥٩) ص ١٠٥٢ .

وهكذا أصبحت السفن العربية تحمل بين الحين والحين بعض الذين طاب لهم الإستقرار بالساحل الأفريقى للإتجار ، وليكونوا حلقة إتصال بين إخوانهم فى الجزيرة العربية ، وبين سكان السواحل الأفريقية والجهات الداخلية فيها ، وبمضى الزمن - زاد عدد الوافدين للإستقرار ، وزادت العلاقات مع الداخل والتوغل فيه ، وتشعبت المصالح ، وأصبحت للعرب إمارات عربية فى هذه السواحل الأفريقية ، لها إتصال ومصالح مع الجماعات العربية فى الجزيرة العربية نفسها ، وبالتجار فى القارة الأفريقية .

ولا شك فى أن الإستقرار العربى على الساحل الأفريقى المقابل للجزيرة العربية حدث بهدوء ، ودون اللجوء للقوة أو العنف ، فالتاريخ لا يذكر لنا حروباً أو معارك وقعت بين المهاجرين والسكان الأصليين^(١) .

وكان الغرض التجارى هو الغالب على هذه الجماعات العربية المهاجرة للسواحل الأفريقية فلم تكن الفكرة - فكرة استعمارية - أى الاستحواز على الأرض ثم الإنتشار منها للداخل .

ولهذا كان الإستقرار على الساحل فحسب ، وفى نقط مختارة تخدم هذا الدافع التجارى ، ولذا كانت تُختار هذه النقط بحيث تكون لها مزاياها التجارية ، كخفر من الثغور سهل الإتصال بداخل القارة ، ويسهل أيضاً الوصول إليه من الجزيرة العربية المقابلة .

فالغرض الأساسى من الإستقرار هو الحصول على الحاصلات الداخلية ونقلها للثغور الساحلية للإتجار فيها ، وكذلك إستيراد ما يمكن تصريفه من البضائع من داخل القارة ، ولهذا لم تقم هذه الجماعات العربية بامتلاك الأرض - إلا بالقدر الضرورى لحماية الثغر التجارى ، ومن ثم كانت رقعة الممالك العربية على الساحل الأفريقى ضيقة ، ولا شك فى أن عوامل طبيعية أخرى أملت إلى حد ما عدم الانتشار للداخل، منها عوائق تتمثل فى التضاريس ، والمناخ ، والنبات - كانت لحد ما - غير

(١) شوقى عطا الله الجمل (دكتور) : تاريخ كشف أفريقيا وإستعمارها (١٩٨٠)

مشجعة على التوغل فى الداخل لمسافات كبيرة - لكن لا شك أيضاً فى أن الأغراض التجارية حتمت فى كثير من الأحيان - إرسال حملات للداخل لحماية القوافل ، وضمان وصولها ، ولعقد اتفاقات تجارية مع أمراء أفريقيين بالداخل ، ولذا فقد انتقل النفوذ العربى فى ظروف كثيرة نحو باطن القارة .

ويمكن أن نتصور أن الوجود العربى فى شرق القارة قد مر بمرحلتين - فقد اقتصر فى المبدأ على الجزر الساحلية وبعض الأقاليم الساحلية - لكن انتشر العرب بعد ذلك فى شرق القارة فى المناطق المواجهة للجزر ، وتوغلوا فى الداخل بقدر ما مكنتهم الظروف الطبيعية ، وما استلزمته مصالحهم التجارية ، وانتهى الأمر بتكوين إمارات عربية بشرق القارة تختلف مساحتها وسلطانها باختلاف الظروف .

وأعطى ظهور الإسلام فى شبه الجزيرة العربية ، وجهر النبى ﷺ بالدعوة - دفعة قوية للعرب للخروج من شبه جزيرتهم لنشر الدين الجديد والتعريف به ودعوة الناس للدخول فيه ، وبالطبع كانت المناطق التى سبق أن عرفها العرب وتعاملوا مع سكانها من أول المناطق التى انطلق إليها العرب المسلمون ، وقد أصبح التجار المسلمون دُعاة الإسلام فى شرق أفريقيا ، كما سيكون لهم دورهم أيضاً فى غرب القارة ، وكان سلوكهم وأمانتهم ومعاملاتهم حسب تعاليم الإسلام - خير مشجع للأفارقة لإعتناق الدين الجديد الذى يدعو للمساواة بين الناس ولا يفرق بينهم إلا على أساس التقوى ، كما يدعو للأمانة ومراعاة الله فى الكيل والوزن وتحديد الربح^(١) .

ونشير إلى أن بعض الأحداث التى حدثت فى الجزيرة العربية - أدت لهجرة بعض القبائل أو الأحزاب من شبه الجزيرة ، وكان شرق أفريقيا ، ومعرفة العرب السابقة بهذه المناطق - المكان الذى لجأت إليه بعض العناصر المسلمة المهاجرة - فمثلاً

(١) دور التجارة فى نشر الإسلام من المواضيع الهامة التى تستحق الدراسة بعمق ، وقيما يتعلق بغرب أفريقيا سنشير فيما بعد إلى ماكتبه (برفل) عن دور التجار المغاربة المسلمين فى هذا المجال فى كتابه :

Bovill , E . W . : The Golden trade of The Moors (London 1960) .

حين اشتد النزاع بين أحزاب المسلمين كانت بعض الأحزاب المغلوبة على أمرها تُهاجر إلى شرق أفريقيا ، وتتخذ من هذه الجهات موطناً لها ، فإثناء حكم عبد الملك بن مروان مثلاً ٧٥ - ٩٥ هـ (٦٩٥ - ٧١٤ م) هاجر بعض العمانيين إلى (لامو) بشرق القارة ، وانشأوا إمارة إسلامية فيها^(١) .

وكانت أحداث مماثلة في الجزيرة العربية أو غيرها من البلاد العربية الإسلامية دافعاً لمزيد من هجرات المسلمين للقارة الأفريقية .

ولا شك في أن هجرة المسلمين إلى شرق أفريقيا واستقرارهم على أرض القارة بأعداد كبيرة ، وما تبع ذلك من اندماجهم في السكان الأصليين وتزاوجهم معهم - ترتبت عليه نتائج هامة وعميقة ، فقد ترتب على ذلك مثلاً وجود جنس تبدو فيه كثير من الصفات والعادات والتقاليد العربية بالإضافة إلى الصفات والتقاليد الأفريقية .

ولذا فقد أصبحت الإمارات التي كونها العرب بشرق أفريقيا - مزيجاً تجمع في أنظمتها بين أشياء أفريقية وبين أشياء إسلامية ، وحتى اللغة السائدة أصبحت لغة أفريقية عربية (اللغة السواحيلية) . لكن مما لا شك فيه أن العرب المهاجرين إلى هذه الجهات قد حملوا معهم حضارتهم الزاهرة ، ولا شك في أن الإسلام بتعاليمه ومبادئه كان يمثل مصدر إشعاع قوى - والمسلمون المهاجرون لشرق أفريقيا - لم يعمدوا لتغيير أوضاع وتقاليد الجماعات التي استقروا بينها واندمجوا فيها في أفريقيا - طالما كانت هذه الأوضاع والتقاليد لا تتعارض مع المبادئ الأساسية للإسلام - لكنهم نقلوا لهذه الجهات حضارتهم ، ولذا فقد تميزت المناطق التي كانت لها صلة بالمسلمين أو التي استقروا بها بميزات حضارية خاصة .

وقد لمس ذلك الرحالة العرب الذين زاروا هذه الجهات مثل ابن بطوطة^(١) .

(١) سنشير فيما بعد للثورة التي حدثت في عمان ضد الخليفة عبد الملك بن مروان وتكليف الخليفة للحجاج بن يوسف الثقفي بإخضاعها وهجرة الثوار لشرق أفريقيا .
للتفاصيل انظر :

عبد الله بن خلفان بن قيسر : سيرة الإمام ناصر بن رشد جزء من مخطوطة مصورة بالميكروفيام بدار المحفوظات بلندن برقم ٢٣٤٢ ونشرتها سلطنة (عمان ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣) وكذلك : 20 - 22 pp , Cit , R , Coupland

(٢) أحمد الشامي بك ، ومحمد حماد المولى : مهذب رحالة ابن بطوطة (مطبعة بولاق)

كما نوه الرحالة الأوربيون الذين جاءوا مؤخراً بما لمسوه من حضارة فى هذه المناطق لا تقل عن حضارة المجتمعات الأوربية ، فقد ذكر ذلك فاسكوداجاما (Vasco Da Gama) الذى وصل إلى هذه المناطق فى رحلاته المشهورة ، وشهد نفس الشهادة دوارت بربوسا (Duarte Barbosa) عند زيارته لكلوه ، ومبسه ، ومالندى ومببا ، وزنجبار ، وعلق على ذلك كوبلاند بقوله « إننا يجب ألا نندهش لما ذكره هؤلاء الرحالة عن مظاهر الحضارة التى نقلها العرب لشرق أفريقيا - فإن العرب كانوا فى ذلك الوقت حملة لواء الحضارة ، فلا شك فى أن مدارس بغداد، والقاهرة، تونس - كانت حتى القرن الثالث عشر تفوق تلك التى فى أكسفورد أو التى فى أية مدينة مسيحية أخرى » (١) .

وتُغنى هذه الشهادة من أجنبى إستعمارى عن كل تعليق آخر .

الطرق التى سلكها الإسلام فى إنتشاره فى القارة :

كانت شرق أفريقيا من المناطق التى إستقر فيها العرب ، والتى هاجر إليها المسلمون - كما رأينا - فى وقت مبكر منذ بزغ نور الإسلام ، وقد سلك المسلمون عدة طرق إلى القارة الأفريقية وفى إنتشارهم فيها ، ومن أهم هذه الطرق : (٢)

١ - طريق المحيط الهندى :

فالمحيط الهندى هو طريق العرب الأساسى من شبه الجزيرة العربية إلى شرق القارة وقد أشرنا للعوامل الجغرافية وغيرها التى يسرت هجرة العرب من شبه الجزيرة العربية عبر هذا الطريق إلى شرق القارة .

٢ - باب المندب :

وهو مدخل طبيعى للمناطق المقابلة له من شرق القارة ، وقد سلكه العرب قبل الإسلام إلى مناطق مثل مصوع ، وعصب وما وراءها فى الداخل - فكان طبيعياً أن يسلكه المسلمون إلى داخل القارة ، ويشير د. عبد العزيز كامل إلى أن إطلاق أسماء

(١) . Coupland : OP . Cit P. 39 .

(٢) من الدراسات الجادة والهامة والمفيدة فى هذا المجال : عبد العزيز كامل (دكتور) :

جغرافيا الإسلام فى إفريقيا (محاضرات ألقى فى معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة) .

بعض الأودية والأنهار في إرتريا والسودان مثل مأرب ، والقاش وهي أسماء لأودية وأنهار في الجنوب العربي - لم يكن من قبيل الصدفة ، وإن استخدام العرب لمدخل باب المنذب بعد ظهور الإسلام - ما هو إلا متابعة للهجرات العربية التي إستخدمته من قبل (١) .

والمحيط الهندي ، وباب المنذب كانا طريق المسلمين إلى الحبشة القريبة من باب المنذب ، حيث أمر الرسول (ﷺ) أتباعه بالهجرة إلى الحبشة حين أشد بهم الأذى (٢) .

كما دخل الإسلام عن هذا الطريق إلى الصومال فأصبح دولة إسلامية ، كما امتد إلى كينيا وتنزانيا الحاليتين ، ووصل الإسلام إلى أعالي الكنفو حيث استطاع حميد بن محمد المرجبي الذي اشتهر باسم تيبوب (Tippu Tip) تكوين دول عربية كانت عاصمتها كاسونجو ظل يحكمها حتى عام ١٨٩٠ (٣) .

٣ - البحر الأحمر :

عبور البحر الأحمر لم يُمثل عقبة في وجه الانتقال بين الشاطئين العربي والأفريقي ، وبعد الإسلام أصبح البحر الأحمر يُمثل طريقاً هاماً للحج للمسلمين الأفارقة ، وقامت على الشاطئ الأفريقي لهذا البحر موانئ هامة بإعتبارها مناطق تجمع الحجاج في طريقهم للأماكن المقدسة الإسلامية بالجزيرة العربية ، وتطورت أهمية البحر الأحمر فقد أصبحت بعض موانئه محطات هامة على الطريق الملاحي الذي يصل المحيط الهندي بعالم البحر المتوسط خاصة بعد شق قناة السويس .

(١) عبد العزيز كامل : نفس المرجع السابق ص ٢٤ ، ٢٦ .

(٢) للدكتور عبد العزيز كامل تعليق طيب على الهجرة للحبشة - فهو يعتبرها هجرة مؤقتة ويعتبر الحبشة أرض إيواء ، بينما يثرب وقبول وفدها الإسلام وهجرة المسلمين إليها - فقد أصبحت قاعدة انطلاق .

(٣) اشتهر حميد بن محمد المرجبي - للدور الذي قام به في معاونة الرحالة ستانلى في كشف نهر الكنفو - ولما يريد المزيد يرجع إلى يواقيم رزق : حميد بن محمد المرجبي ، والوجود العربي في الكنفو ، رسالة ماجستير معهد البحوث الأفريقية بجامعة القاهرة ١٩٧٥ - بإشراف د. شوقي الجميل .

٤ - شبه جزيرة سيناء :

سيناء معبر يربط آسيا بأفريقيا ، ولم تكن صحراء سيناء فى أى يوم حائلاً بين القبائل العربية المنتشرة فى شمال أفريقيا وشبه الجزيرة العربية .

وستلعب شبه جزيرة سيناء دوراً هاماً كطريق لهجرة القبائل العربية إلى شمال وغرب أفريقيا ، ومن أهم الهجرات التى سلكت هذا الطريق هجرة بنى هلال ، وبنى سليم ، وقد استقرت بعض القبائل العربية المسلمة فى سيناء كما أن بعضها إتخذها معبراً إلى الغرب ، وقد دفعت هذه القبائل العربية أمامها قبائل بربرية إلى الجنوب والغرب .

وتتمثل أهمية سيناء فى أنها الطريق البرى الوحيد بين الشطر (الجناح) العربى الآسيوى ، والشطر (الجناح) العربى الأفريقى .

٥ - مصر كقاعدة للانطلاق الإسلامى فى أفريقيا :

كان فتح مصر فى العام التاسع عشر للهجرة فى عهد عمر بن الخطاب ودخول مصر فى حوزة الأمة الإسلامية - مرحلة هامة فى تاريخ الإسلام فى أفريقيا .
فمن مصر إنطلق المسلمون فى اتجاهين هامين :

(أ) اتجاه جنوبى ^(١) إلى بلاد النوبة وسودان وادى النيل وإلى الجنوب الشرقى إلى إرتريا .

(ب) اتجاه غربى - اتجه فى طريق ساحلى إلى برقه ، وطرابلس ، والمغرب (افريقية) ، وكان تأسيس عقبة بن نافع مدينة القيروان عام ٥٠ هـ خطوة هامة فى هذا الاتجاه .

٦ - المغرب كقاعدة لإنطلاق الإسلام فى افريقية :

كما أثرت مصر فى إنتشار الإسلام والثقافة العربية فى سودان وادى النيل

(١) عن انتشار الإسلام فى النوبة انظر :

- المقرئى : الخطط (١٣٢٤ هـ) ج ١ ص ٣٢٢ - ٣٣٧ .

- البلاذرى : فتوح البلدان (١٩٣٢) ص ٢٢٥ وما بعدها .

وشرق أفريقية - كذلك كان أثر بلاد المغرب واضحاً في تاريخ الإسلام في غرب أفريقيا .

فمنذ اللحظة التي دخل فيها الإسلام بلاد المغرب بدأ يتسرب إلى غرب أفريقية، والمعروف أن عقبة بن نافع الفهري أوغل بقواته حتى ساحل المحيط ، وسار موسى ابن نصير في نفس الطريق ، فانفتح الباب للإسلام صوب الغرب وجنوباً إلى قلب القارة التي أطلق عليها الأوربيون في وقت من الأوقات تعبير (القارة السوداء) ، وكان هذا أول إتصال بين الإسلام القادم من المغرب وبين أقاليم غرب أفريقيا ، وتتابع بعد ذلك هجرات البربر الذين اندفعوا في موجات متعاقبة نحو الجنوب متأثرين بالأحداث السياسية التي تعرضت لها المغرب ، ولعل من أبرز القبائل التي لعبت دوراً حاسماً في نشر الإسلام في هذه الجهات قبائل الملثمين (الطوارق) بالذات ، وقد كان لها نشاط واضح في منطقة السنغال والنيجر وغيرهما من المناطق^(١).

وسنشير بتفصيل فيما بعد للدور الذي لعبته هذه القبائل في نشر الإسلام في غرب افريقيا -

وقد سبق أن أشرنا إلى أن هجرة بعض القبائل العربية مثل بنى سليم ، والهلالين وتقدمها تجاه الصحراء بحثاً عن مناطق تشبه إلى حد ما في ظروفها وأنماط حياتها - تلك التي تعودت عليها في يبيتها الأولى في الجزيرة العربية - أدى بدوره إلى هجرة قبائل بربرية وزنجية تجمعت في الواحات أو على ضفاف الأنهار ، وساعد ذلك بدوره على نشر الإسلام في المناطق التي نزحت إليها هذه القبائل - ويذكر توماس أرنولد أن هذا أدى إلى تغيير أساسي في توزيع السكان^(٢) .

وقد أدى ذلك إلى نشأة مدن وحواضر إسلامية كبرى في غرب أفريقيا ، بل

(١) Dubois , F. : Islam Noir (Paris 1899) P. 28 .

(٢) توماس ، أرنولد : اندعرة إلى الإسلام (مغرب - القاهرة ١٩٥٧) ص ٣٩١ وما

بعدها .

تبع إنتشار الإسلام فى غرب أفريقيا قيام ممالك إسلامية كبرى لها مكائنها وحضارتها فى غانا ، ومالى ، وسنغى ، وبرنو ، وكانم وقد ظل بعض هذه الممالك قائما إلى أن واجهت موجة الغزو الأوروبى الإستعمارى للقارة الأفريقية .

٧ - الهجرة من الملايو وشبه القارة الهندية وباكستان وأثرها فى نشر الإسلام فى أفريقيا :

هاجرت اعداد ليست قليلة من شبه القارة الهندية وباكستان إلى ساحل أفريقيا الشرقى والى أقصى جنوب القارة ، وانتشر هؤلاء ومنهم عدد كبير من المسلمين فى تنزانيا ، وكينيا ، وفى أقصى جنوب القارة ، واستقر عدد منهم وأصبحوا جزءاً من التكوين السكانى فى هذه الجهات التى استقروا بها ، وساهموا فى نشر الإسلام بين عدد من المواطنين فى أماكن استقرارهم (١) .

بعد هذا العرض للظروف التى دخل فيها الإسلام أفريقيا والطرق التى انتشر منها فى القارة لعل السؤال الذى يفرض نفسه علينا هو ما هى حدود أرض الإسلام فى أفريقيا، وما هى النسبة المثوية لعدد المسلمين فى القارة لعدد سكانها .

يبلغ عدد سكان أفريقية نحو ثلاثمائة مليون نسمة ، ويصل عدد المسلمين منهم نحو ١٨٠ مليون نسمة أى حوالى ٦٠٪ من السكان - ويمثلون أكبر كتلة بشرية متماسكة ، ويحيطون بالصحراء الكبرى ، ويشرفون على البحرين المتوسط والأحمر ، وشاطئء المحيط الهندى ، والأجزاء الشمالية من سواحل أفريقية المطلة على المحيط الأطلسى ، ويتوغلون فى قلب القارة بدرجات متفاوتة (٢) .

تحديد أرض الإسلام فى القارة :

إذا حاولنا أن نحدد أرض الإسلام فى القارة نجد :

(١) يرجع أصل عدد كبير من مسلمى جنوب أفريقيا إلى الملايو ، وقد جاء بهم الهولنديون فى القرن السابع عشر .

- أنظر توماس ، ارنولد : المرجع السابق ص ٢٩٤ . وما بعدها .

(٢) عبد العزيز كامل : مرجع سابق ص ٦٣ .

١ - الحدود الشمالية :

يُعتبر الشاطئ الجنوبي للبحر المتوسط حداً شمالياً لأرض الإسلام في أفريقيا ، ومن المغرب العربي عبر طارق بن زياد بجيوش المسلمين إلى شبه جزيرة إيبيريا ، وظل المسلمون سادة هذه البلاد ما يقرب من ثمانية قرون حتى سقطت غرناطة آخر معاقل العرب بها في عام ١٤٩٢ م .

وقد استطاع المسلمون أن يُسيطروا على بعض جزر البحر المتوسط كصقلية واتخذوا منها مواقع للمحافظة على ما وراءها من أرض المسلمين - لكن البحر المتوسط لأهميته الملاحية ظل مطمعاً للدول الإستعمارية ، فسعت إنجلترا للتحكم في مدخله الغربي ومدخله الشرقي ، وكانت الدول الإسلامية المطلة على هذا البحر مطمعاً للدول الاستعمارية (إنجلترا ، فرنسا ، إيطاليا ، أسبانيا) .

٢ - الحدود الشرقية :

أشرنا فيما مضى إلى سيناء وأهميتها باعتبارها المعبر البري الوحيد الذي يربط بين الجناح الأفريقي ، والجناح الآسيوي من أرض الإسلام . وقد كان لهذا المعبر أهميته فقد كان - وما زال المر الذي تعرضت منه مصر الإسلامية بالذات لخطر الغزو .

والمنطقة الثانية من الحدود الشرقية - تتمثل في الشواطئ الغربية للبحر الأحمر ، وهذا البحر - بحر إسلامي يُحيط المسلمون بشاطئيه الآسيوي والأفريقي لكنه لأهميته الملاحية خاصة كطريق للهند وتجاره الشرق في العصور الوسطى وأوائل العصور الحديثة وكطريق هام تخترقه حالياً البواخر حاملة البترول من دول الخليج وغيرها للبحر المتوسط فأوروبا - كان ميدان صراع وتعرضت الدول العربية الإسلامية ، المطلة عليه لمحاولات عدوانية متعددة . وكان على القوى الإسلامية أن تتصدى لهذا العدوان .

ومن الصراع الأوربي الإسلامي سواء في البحر المتوسط أو في البحر الأحمر أو في المحيط الهندي في مراحل متعددة يضيق المجال هنا عن عرضها لكنها تمثلت في

الصلبيات ، كما تمثلت فى محاولات الدول الاستعمارية الأوربية للسيطرة على الدول العربية ذاتها أو على الأقل على المنافذ والثغور الإستراتيجية كجبل طارق ، وطنجة فى المغرب وقناة السويس فى المشرق ، وعدن فى الجزيرة العربية بموقعها الفريد فى مدخل البحر الأحمر ، كما لعبت جزر البحر الأحمر دوراً فى هذا الصراع .

وتمتد الحدود الشرقية لأرض الإسلام لتشمل الصومال ، كما تمتد جنوباً إلى كينيا وتنزانيا ، ويطول الساحل الجنوبى الشرقى للقارة حيث كانت للمسلمين إمارات عربية فى العديد من النقاط الساحلية .

وقد اشرنا إليها من قبل . وذلك قبل أن يكتشف البرتغال طريق رأس الرجاء الصالح فى القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) ، واستعاد المسلمون نفوذهم فى بعض مناطق من هذا الساحل بعد ذلك فى القرن التاسع عشر عندما نجح السيد سعيد فى أن يصبح صاحب النفوذ على شرق افريقية وجعل زنجبار حاضراً لبلاده ، وانتشر المسلمون - كما ذكرنا بعد ذلك إلى أقصى جنوب القارة .

وان كان المسلمون فى أقطار كمصر والسودان والصومال يمثلون غالبية السكان وتعتبر الدولة الإسلام دينها الرسمى - فإن المسلمين فى جمهورية جنود أفريقيا يمثلون مجموعة دينية فقط .

٣ - الحدود الغربية :

انتشر الإسلام . كما ذكرنا - من شمال القارة من المغرب على وجه الخصوص عابراً الصحراء ، ولذا انتشر على جبهة عريضة وغمر الأجزاء الشمالية من غرب أفريقيا ، متوغلاً حتى شمال نيجيريا التى كانت فيها سلطنات إسلامية مثل (سلطنة سوكوتو) ، ويقل تركيز الإسلام كلما توغلنا نحو ساحل غانه .

وقد يثير الدهشة ان الإسلام انتشر فى مناطق كسيراليون وليبيريا فى الأجزاء الداخلية القريبة من المؤثرات الآتية من المغرب أكثر من السواحل التى تأثرت بالمؤثرات المسيحية المصاحبة لنشاط الدول الأوربية المسيحية

وبعد هذا العرض العام لظروف دخول الإسلام وانتشاره فى أفريقيا - لعله من المناسب أن نتعرض بشئ من التفصيل لتاريخ المسلمين فى بعض أقطار أفريقيا الهامة .

* * *

الفصل الأول

المسلمون فى شرق افريقيا

أولاً : المسلمون فى ساحل أفريقيا الشرقى :

ذكرنا فى التمهيد أن العرب عرفوا الساحل الشرقى للقارة من وقت بعيد ، وكانت لهم تجارتهم مع هذا الساحل ، وقد هاجر عدد من العرب إلى هذا الساحل واستوطنوا فيه ، واندمجوا مع السكان الأصليين وتزاوجوا معهم وكونوا إمارات عربية ، ولما ظهر الإسلام فى الجزيرة العربية أعطى دفعة جديدة وقوية للعرب للهجرة للساحل الشرقى - لنشر مبادئ الدين الجديد وكانت للأحداث التاريخية التى تعرضت لها الدولة الإسلامية آثارها فى زيادة الهجرة لهذه المناطق المعروفة لهم ، فتوالت الهجرات العربية لساحل أفريقيا الشرقى بعد ظهور الإسلام - من البحرين ، وعمان ، والأحساء ، واليمن ، وحضرموت وغيرها من أقاليم شبه الجزيرة العربية ، وكان للعرب المسلمين فى سوفالا، وكلوه ، وزنجبار ، ومبسة ، ومالندى وجودهم القوى ، وطُبعت هذه البلاد بالحضارة العربية التى أشاد بها الرحالة العرب والأجانب ، وكان من مظاهرها إنتشار اللغة السواحيلية التى هى مزيج من اللغة العربية واللغات الأفريقية التى كانت سائدة بين السكان على الساحل .

وظل للعرب فى هذا الساحل نفوذهم وتجارتهم الزاهرة حتى نهاية القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) حين وصل البرتغاليون لهذا الساحل .

ولم يقتصر الوجود العربى على الساحل بل توغلوا للداخل ، وقد سبق أن أشرنا إلى أنهم وصلوا إلى أعالي نهر الكونغو (مملكة حميد بن محمد المرجبى) .

على أن اكتشاف البرتغال لطريق رأس الرجاء الصالح ووصولهم إلى شرق أفريقيا - أدى لصراع مرير بين العرب المستقرين من وقت طويل على الساحل وفى

مناطق من الداخل بقدر ما كان نشاطهم التجارى يستلزم - وبين المستعمرين البرتغال .

وكان الرحالة البرتغالى بيدرو دى كوفيلهام (Pedro De Covilham) قد وصل إلى مصر فى عام ١٤٨٧ م وسافر عن طريق البحر الأحمر لعدن والهند ، وفى أثناء عودته زار أغلب المناطق العربية فى الساحل الشرقى لأفريقيا ودخل جنوباً حتى شرم سفاله (Sofala) ثم عاد إلى القاهرة (١) .

وقد فتحت المعلومات الهامة التى جمعها هذا الرحالة - العيون إلى أهمية المناطق العربية بشرق القارة ، وكانت أساساً للرحلة التى قام بها فيما بعد فاسكو داجاما (Vasco Da Gama) حول رأس الرجاء الصالح ووصل إلى الإمارات العربية بشرق أفريقيا ثم الهند .

فقد وصل داجاما عام ١٤٩٨ إلى نهاية القارة الأفريقية وعبر رأس الرجاء الصالح إلى الساحل الشرقى للقارة ، وزار الإمارات العربية فى المنطقة - وقد ذُهل لما رآه فى هذه الإمارات من مستوى حضارى (٢) .

وتتابعت بعد ذلك رحلات البرتغال للهند عن هذا الطريق الجديد ، وكان هذا بداية للصراع بينهم وبين العرب المسلمين المستقرين بشرق أفريقيا ، بل بين البرتغال والقوى العربية فى العالم الإسلامى (المماليك ، ثم الاتراك) ، فقد كان الدافع الدينى من أهم دوافع البرتغال منذ أن نجحوا فى طرد العرب من أيبيريا وتعقبوهم بعد ذلك لشواطئ أفريقيا الشمالية والغربية ثم وصلوا إلى رأس الرجاء الصالح فشرق أفريقيا فى محاولة للوصول إلى تجاره الشرق التى كانت عصب الحياة الإقتصادية فى دولة المماليك التى كانت تبسط نفوذها على الشام ومصر والحجاز (٣) .

(١) Johnston , H. : History of the Colonization of Africa by Alien Races (Cambridge 1913 P. 42 .

(٢) Duffy , James : Portuguese Africa (London 1959) p. 2.

(٣) عن الدافع الدينى وراء نشاط البرتغال الاستعمارى يرجع إلى : شوقى الجمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها (١٩٨٠) ص ١٣١ وما بعدها .

وفى سنة ١٥٠٢ م أثناء رحلة داجاما الثانية للهند نزل فى كلوه ، وتحت التهديد بحرق المدينة أجبر السلطان على الإعتراف بسيادة البرتغال على المدينة ودفع جزية سنوية رمزاً لهذه التبعية .

ويتبع ذلك خضوع زنجبار - التى يصفها البرتغاليون بأنها كانت فى ذلك الوقت عبارة عن جزيرة خضراء ناضرة تعج حدائقها بأشجار الفاكهة والخضروات .

وفى سنة ١٥٠٥ غادر لشبونه أسطول كبير من ثلاثة وعشرين سفينة تحت قيادة فرانسيسكو دى الميدا (Francisco De Almeida) بهدف تثبيت أقدام البرتغال فى الموانئ الواقعة على الساحل الشرقى للقارة والقضاء على نفوذ المسلمين الذين كانت لهم السيادة التامة على الطريق التجارى ، ويعملون كوسطاء فينقلون منتجات الهند وغيرها من دول الشرق عبر المحيط الهندى والبحر الأحمر أو الخليج العربى إلى سواحل البحر المتوسط حيث تجد طريقها إلى أوربا ، وكانت السفن العربية قد وصلت إلى الصين وكانوا من قرون قد احتكروا هذا العمل .

ولتحقيق هذا الهدف استولى البرتغال على سفالة ، وكلوة التى قاومتهم بعنف فانتقموا منها بإشعال النار فى المدينة بعد نهبها وأقام البرتغال فى كلوة حصناً تركوا به حامية لهم .

وتقدموا إلى مالندى ، وقد دافع سكانها من العرب المسلمين ومن الأفارقة دفاع الأبطال عن مدينتهم ، وكان رد فعل البرتغال أنهم أشعلوا النار فى المدينة فأنت على كل شىء ولم يتركوها إلا بعد أن أصبحت رماداً ، حتى أن شيخ المدينة المنكوبة والتى كانت قبيل مجيء البرتغال فى أوج عظمتها كتب إلى زميله حاكم مالندى (Malindi) يصف كيف وجدوا المدينة بعد عودتهم إليها بعد أن نهبها الغزاه البرتغاليون وتركوها لمنيران فقال « لم يتركوا فيها أى كائن لا رجلاً ولا امرأة لا صغيراً ولا كبيراً حتى الأطفال ، كل الذين فشلوا فى الهروب قتلوهم أو أحرقوهم » وحذره من هذا الخطر الزاحف^(١) .

Duffy , op . cit . p . 28 .

(١)

ويسقوط كلوه ، ومعبسة سقط عمودان من أهم الأعمدة التي كانت تعتمد عليها
السيادة العربية الإسلامية في شرق أفريقيا .

وفي سنة ١٥٠٦ أرسل اسطول برتغالي آخر من أربعين سفينة لشرق أفريقيا
تحت قيادة البركيرك (Albuquerque) فاستولى على لامو ، وبراهو ، كما استولى
على جزيرة سوقطوه وبنى فيها البرتغاليون حصناً أصبح قاعدة هامة لعملياتهم البحرية
في المحيط الهندي .

وفي سنة ١٥٠٧ سقطت موزمبيق (Mozambique) في يد القائدة البرتغالي
دوارت دا ميللو (Duarte De Mello) واستقر البرتغاليون بها وبنوا مستشفى
وكنيسة بالإضافة لثكنات لجيوشهم - وكان هذا بداية لمستعمرة موزمبيق البرتغالية التي
ظلت تحت سيطرة البرتغال حتى عام ١٩٧٥م حين نجحت المستعمرات البرتغالية بشرق
القارة وبغربها (موزمبيق ، وانجولا ، وغينيا بيساو) في أن تسترد حريتها بعد سقوط
حكومة ساليزار الدكتاتورية في البرتغال .

وزار البرتغاليون مدغشقر (مالاغاشي) ، كما اكتشفوا جزيرة سنت هيلانه ،
وامتد نفوذهم على الساحل الشرقي حتى سفاله جنوباً ، أما في الشمال فقد اعتمدوا
في بسط نفوذهم على صداقة شيوخ مالندي الذين استطاعوا أن يستميلوهم إلى
جانبيهم منذ أن قدموا لأول مرة للسواحل الأفريقية الشرقية مستغلين روح العداء التي
كانت بين هؤلاء الشيوخ وشيوخ ممبسه ، وأقام البرتغاليون في ممبسة بعد سقوطها في
أيديهم قلعة حصينة كانت بمثابة اليد الحارسة للنفوذ البرتغالي في هذا القطاع ، وكان
لقائد هذه القلعة وكلاء في الموانئ المجاورة مثل كلوه ، ومببا ، وزنجبار .

وفي سنة ١٥٠٩ عين البرتغال حاكماً عاماً لمستعمراتهم في شرق أفريقيا ، وبعد
ذلك اتجهوا لساحل الجزيرة العربية والخليج فهاجموا مسقط ، وهرمز ، وعدن .

وهذا يوضح لنا بجلاء الارتباط القوى بين تاريخ المسلمين في شرق أفريقيا ،
وفي السواحل والمناطق الهامة المواجهة لهذه السواحل في بلاد العرب .

على أننا نشير إلى أن البرتغال لم تكن القوة الإستعمارية الوحيدة التي إتجهت
بأنظارها لهذه المناطق الهامة بساحل أفريقيا الشرقي وللمحيط الهندي وجزره - فقد

انفتح الطريق أمام الدول الإستعمارية الأوربية الأخرى مثل هولندا ، وفرنسا ،
وانجلترا ، والتي حلت فى هذا المجال محل البرتغال بعد أن أصاب الوهن والضعف
البرتغال خاصة بعد أن تأسست الشركات التجارية الاستعمارية التى أطلقت على نفسها
اسم (شركات الهند الشرقية)^(١) - وتنافست هذه الشركات فى نشاطها التجارى
والإستعمارى ولعبت كل منها دوراً استعمارياً بارزاً فى الطريق المؤدى للهند ، وفى
سبيل تحقيق مصالحها ومصالح الدول التابعة لها حاولت الإستيلاء على المواقع
الاستراتيجية فى هذا الطريق^(٢) .

على أن المسلمين فى شرق أفريقيا استطاعوا فى فترة تالية من تاريخهم أن
يستعيدوا قوتهم وأن يواجهوا الأطماع الإستعمارية فى بلادهم وساندتهم فى ذلك
القوى الإسلامية فى شبه الجزيرة العربية وفى غيرها من الأقطار العربية - وقد لعب
العثمانيون بالذات دوراً هاماً فى هذا الصراع^(٣) .

وسبق أن اشرنا إلى أن السلطان السيد سعيد بعد أن تقلد إمارة عمان - استنجد
به المسلمون فى شرق أفريقية ، وقد نجح فى عام ١٨٣٧ فى الإستيلاء على ممبسة
وأصبح صاحب النفوذ على شرق أفريقيا ، ونقل بعد ذلك حاضرة دولته إلى زنجبار -
وأدت سياسته الحكيمة إلى إزدهار زنجبار ، وتوافد عليها عدد كبير من المسلمين من
شبه الجزيرة العربية ، ومن الهند ومن الأفارقة ، ووفد إليها مهاجرون من أقطار
إسلامية أخرى^(٤) .

(١) تأسست شركة الهند الشرقية البريطانية سنة ١٦٠٠ .

وشركة الهند الشرقية الهولندية سنة ١٦٠٢م وشركة الهند الشرقية الفرنسية سنة ١٦٦٤ م

(٢) للمزيد من التفاصيل يرجع إلى :

Hoskins : British Routes to India (London 1928) .

(٣) عن الصراع العمانى البرتغالى فى شرق أفريقيا يرجع إلى : (عبد النبى على أحمد

على : الصراع العمانى البرتغالى فى شرق أفريقيا - رسالة دكتوراه من معهد البحوث
والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة إشراف د . شوقى الجمل .

(٤) شجع السيد سعيد الهنود المسلمين للهجرة لزنجبار فأعطاهم امتيازات وبلغ عددهم فى

عام ١٨٦٠ ما يزيد على ٦٠٠٠ شخصى .

وقد مد السيد سعيد نفوذه شمالاً حتى بلغ حدود الحبشة الجنوبية ، وجنوباً حتى موزمبيق البرتغالية بل إنه اتجه ببصره إلى جزيرة مدغشقر فتزوج من ملكتها وربط بذلك الدولتين بروابط المصاهرة .

ولما أخذت عوامل الضعف تدب في كيان زنجبار أسرع بريطانيا في عام ١٩٠٦ فشددت قبضتها عليها وربطتها بمعاهدة حماية .

ثانياً : المسلمون في الحبشة (إثيوبيا) وارتريا :

تقع الحبشة في شرق أفريقيا في منطقة القرن الأفريقي بين خطي عرض ٤ ° ، ١٨ ° شمالاً وخطي طول ٣٣ ° ، ٤٨ ° شرقاً .

ولهذا الموقع أهمية خاصة ، فهي تُعتبر بمثابة الجسر الذي يربط بين القارتين الأفريقية والآسيوية فلا يفصلها عن الساحل الآسيوي - إلا مسافة ضيقة تقل عن عشرين ميلاً ، ويحدها من الغرب والشمال - السودان ، ومن الشمال البحر الأحمر ، ومن الشرق والجنوب - الصومال ، ومن الجنوب كينيا^(١) .

والهضبة الحبشية يتراوح متوسط ارتفاعها بين ٧.٠٠٠ ، ٨.٠٠٠ قدم فوق سطح البحر - لكن الهضبة تترك بينها وبين ساحل البحر الأحمر سهلاً ساحلياً^(٢) .

ونشير إلى أن اسم الحبشة (Abyssinia) اشتق من اسم قبيلة (حبشت) اليمنية ، وقد هاجرت هذه القبيلة من الجزيرة العربية قبل الميلاد بعدة قرون ، واستقرت بهذه البلاد واعطتها اسمها^(٣) . ولا نستطيع أن نحدد تاريخاً معيناً لبداية العلاقات بين عرب شبه الجزيرة العربية والأحباش - فشبه الجزيرة العربية تواجه الحبشة ، ولا يفصل بينهما إلا البحر الأحمر ، وهو بحر ضيق ، ويكاد يلتقي ساحلاه الأفريقي والآسيوي في الجنوب عند مضيق باب المندب ، بحيث يمكن القول إن هذا البحر كان عامل وصل بين سكان شبه الجزيرة العربية ، وسكان الساحل

(١) جمال الدين الدناصورى (دكتور) وآخرون : جغرافية العالم دراسة اقليمية (د .

ت) ص ١١٥ .

(٢) فيليب رفل (دكتور) : الجغرافية السياسية لأفريقيا (١٩٦٥) ص ٣٤ .

(٣) مراد كامل (دكتور) : الحبشة بين القديم والحديث (محاضرة أقيمت في الجمعية

الجغرافية المصرية (مارس ١٩٥٩) .

الأفريقي وما وراءه أكثر منه عامل فصل ، خاصة أن الملاحة في البحر الأحمر سهلة متيسرة طوال العام ، فلا تكاد تهب زوايع أو أعاصير تعرض الملاحة فيه للخطر إلا بضعة أيام في السنة .

وقد كانت للحبشة تجارة زاهرة ، إذ كانت تصدر البن ، والصمغ ، والعاج ، وریش النعام ، والأغنام ، والأبقار ، والجلود في مقابل استيراد الارز الهندي ، والبلح ، والأقمشة القطنية ، والدخان ، والحديد وغيرها ، ولا شك في أن العرب كانوا يلعبون دوراً هاماً في هذا التبادل التجاري الذي كان يتم في الغالب عن طريق المقايضة إلى أن عُرِفَت العملات القديمة .

وهكذا كانت للعرب معرفة ببلاد الحبشة قبل الإسلام - فلما ظهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية - وجهر النبي ﷺ بالدعوة وجد فيها بعض العرب هدماً لما ألفوه في معتقداتهم وخروجاً عما اعتادوا أن يعبدوه ، كما وجد بعض أغنياء قريش في الدين الجديد تقويضاً لسلطاتهم ونهياً عن ملذاتهم التي اعتادوها - فناصروا الرسول العدا ، ورأوا أن يوجهوا إضطهادهم إلى أنصاره عامة ، وإلى المستضعفين منهم خاصة لاسيما مواليهم الذين وجدوا في الدعوة الجديدة مخرجاً لهم من ذل الأسر^(١) .

ولما رأى رسول الله ما نزل بالمؤمنين بدعوته من إيذاء - رق قلبه لأنصاره ، وخاف عليهم أن يفتنوا ، فأشار عليهم أن يفروا بإيمانهم ويهاجروا إلى بلاد الحبشة - فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لهم مخرجاً مما هم فيه^(٢) .

وقد هاجر إلى الحبشة عشرة رجال ، وأربع نسوة ، ثم زاد المهاجرون للحبشة ، فبلغ عددهم ثلاثة وثمانين رجلاً ، وسبع عشرة إمراًه بالإضافة إلى الصبية ، وكلهم من بطون قريش ، وكان فيهم عثمان بن عفان ، وزوجته رقية بنت الرسول ، والزبير

(١) ابن الإثير : الكامل في التاريخ (بولاق ١٢٧٤هـ) ج ٢ ص ٢٤ .

(٢) نفس المرجع السابق ج ٢ ص ٢٩ .

وكذلك محمد بن سعد : الطبقات الكبرى ج ١ (القاهرة ١٣٨٨هـ | ١٩٦٨ م)

ابن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وجعفر بن أبي طالب وامراته أسماء بنت عميس ، وعمرو بن سعيد بن العاص بن أمية ، وأخوه خالد بن سعيد بن العاص^(١)

فلما رأى أهل قريش أن أصحاب رسول الله ﷺ قد آمنوا ، وإطمأنوا بأرض الحبشة ، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً - استقروا فيما بينهم على أن يبعثوا منهم رجلين إلى النجاشي ليخرجهم من بلاده - فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة ، وعمرو بن العاص ، ومعهما الهدايا - فلما وصلا إلى بلاد النجاشي طلبا مقابله ، ثم قال له «أيها الملك إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان من السفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بدين إبتدعوه ، لا نعرفه نحن ولا أنت - وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائهم لتردهم عليهم ، فهم أعلمهم عينا ، وأعلم بما عاثوا عليهم وعاتبوهم فيه^(٢)» .

فطلب النجاشي هؤلاء المهاجرين وسألهم عن حقيقة دينهم فتقدم جعفر بن أبي طالب ووصف له حالة العرب قبل الإسلام وبعده ، وشرح له أن دعوة الرسول ترمي إلى ترك الأوثان ، وعبادة الله والتخلق بكمكارم الأخلاق ، فقال له النجاشي - هل معك مما جاء به من الله شيء - فقال جعفر نعم - فأقرأه على - فقرأ جعفر عليه صدرأ من سورة مريم ، وفيها حديث عن ميلاد المسيح - فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته ، وبكى أساقفته حتى ابتلت مصاحفهم حين سمعوا ما تلى عليهم - ثم قال النجاشي لمبعوثي « قريش » ، « إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة إتفاقاً ، فلا والله لا أسلمهم اليكما^(٣)» .

وقد بقى المهاجرون من المسلمين في الحبشة ، وقد أكرمهم النجاشي وأمنهم

(١) حسن إبراهيم حسن (دكتور) : تاريخ الإسلام السياسي (١٣٥٣هـ - ١٩٣٥م)

ص ١٠٦ ، ١٠٧ .

(٢) ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام : كتاب سيرة رسول الله (١٣٢٢هـ)

ج ١ ص ٣٥٢ .

(٣) نفس المرجع السابق ونفس الجزء ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .

على حياتهم وأصبحوا فى رغد من العيش ، وقد رجع بعضهم فيما بعد إلى مكة قبل هجرة الرسول إلى المدينة وأقام بعضهم فى الحبشة إلى السنة السابقة للهجرة .

واستمرت العلاقات بين الجزيرة العربية والحبشة بعد ذلك ، وأصبح العرب يترددون أكثر عليها ، واستقر بعضهم هناك ، وقيل إن أول مسلم هاجر إلى الحبشة واستقربها هو ود بن هشام المخزومى ، وكان ذلك فى خلافة عمر بن الخطاب^(١) .

على أن الأحداث السياسية فى الدولة الإسلامية أدت بعد ذلك إلى زيادة الهجرة إلى الحبشة والإستقرار بها - فالحبشة بموقعها الجغرافى وخصبها ، واعتدال مناخها ، وتنوع مواردها - كانت مغرية للراغبين فى الهجرة للعمل سواء فى الزراعة أو الرعى أو التجارة .

على أنه على الرغم من أن الصلات بين الأحباش والمسلمين - كما ذكرنا - كانت فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام - طيبة وودية فقد بدأت بعض الإحتكاكات بين الأحباش والدولة الإسلامية - بعد ذلك منذ عهد عمر بن الخطاب^(٢) .

فالمراجع تذكر إنه فى عام ٢٠هـ أرسل الخليفة سرية من المسلمين فى البحر بقيادة علقمة بن مجرر المدلىجى لمهاجمة الحبشة - ولا تعطينا المراجع تفسيراً لهذا الصدام الذى وقع بين الأحباش والعرب - لكن تذكر المراجع أن ميناء جدة تعرض لغارات الأحباش مما أضطر المسلمين لرد هذا العدوان^(٣) .

وتذكر المراجع إنه فى عام ٨٣هـ - اضطر المسلمون لاحتلال جزر دهلك القريبة من مصوع وذلك لضمان مراقبة تحرك الأحباش ، وقد وجدت بهذه الجزر نقوش عربية وشواهد قبور ترجع إلى منتصف القرن الثالث الهجرى مما يدل على أن العرب

١ - (١) زاهر رياض : تاريخ إثيوبيا (١٩٦٦) ص ٥٦ .

(٢) فى السنة السادسة للهجرة أرسل الرسول إلى الملوك والأمراء - ومن بينهم النجاشى - كتاباً يدعوهم إلى الإسلام ، انظر الطبرى : تاريخ الأمم والملوك (القاهرة ١٣٢٦هـ) ج ٣ ص ٨٩ .

(٣) ابن الأثير : مرجع سابق ج ٣ ص ٢٨٠ .

المسلمين كان لهم وجود بهذه الجزر حتى هذا التاريخ - ويبدو أن دهلك أصبحت لها أهميتها كمركز مراقبة ، وكمحطة تجارية بين شبه الجزيرة العربية والحبشة^(١) .

ونشير إلى أن عدداً من القبائل العربية هاجرت واستقرت في السهول الساحلية المحيطة بأرض الحبشة ، وقد توالى الهجرات لهذه السهول التي كانت في طبيعتها الصحراوية أو شبه الصحراوية شبيهة بما اعتاده العرب في بلادهم .

وبمضى الوقت تحولت المراكز الإسلامية إلى إمارات أو ممالك إسلامية أطلق عليها البعض اسم إمارات أو سلطنات الزيلع الإسلامية ، وأطلق عليها المقریزی ممالك اسم الطراز الإسلامي^(٢) .

ومن الشعوب التي كونت هذه الممالك أو السلطنات البجة ، والأعفار (الدناكل) ، والصوماليون ، والجالا .

ومن أهم هذه الممالك والسلطنات - سلطنة أوفات ، وسلطنة عدل ، ومملكة فطجار ، ومملكة دوارد ، ومملكة بالي ، ومملكة داره ، وسلطنة شوا ، ومملكة هدية ، ومملكة شرخة - وقد امتدت هذه الممالك من ميناء مصوع شمالاً إلى إقليم أوجادين جنوباً ، ومن رأس غوردفواي شرقاً إلى أطراف الهضبة الحبشية غرباً .

وإن لم تتوحد هذه الممالك الإسلامية تحت سلطنة إسلامية واحدة - لكن ظهرت واحدة أو أخرى من هذه الممالك كقوة كبرى ، فمثلاً ظهرت مملكة شوا الإسلامية التي بلغت أوج عظمتها في القرن السادس الهجري .

وكانت المسيحية قد وصلت إلى الحبشة في القرن الرابع الميلادي عن طريق مصر ، وأصبحت الكنيسة الأثيوبية تابعة للكنيسة المصرية الأرثوذكسية (كنيسة الإسكندرية) التي تكفلت بإرسال رجال الدين لها ، وقد ظلت الصلة بين الكنيسة

(١) Trimingham , Spencer : Islam in Ethiopia (London 1992) p . 45 .

(٢) المقریزی : الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام (نشره د . رنك)

المصرية والكنيسة الإثيوبية إلى يومنا هذا وإن كانت قد اختلفت نوع هذه العلاقة بين الكنيستين وتطورت مع تطور العلاقة السياسية بين مصر وإثيوبيا^(١) .

وقد سجل لنا التاريخ مراحل متعددة من الصراع بين ممالك الطراز الإسلامي ومملكة الحبشة المسيحية - فقد ظمع الأخباش في مد سلطانهم لهذه الممالك التي تتحكم بنحكم موقعها في منطقة القرن الأفريقي في التجارة الخارجية عبر المحيط الهندي والبحر الأحمر .

هذا ونشير إلى أن الأخباش كانوا يتابعون أخبار الحملات الصليبية الدائرة في بلاد الشام ، وكان ملوك الحبشة يطمعون في أن يسهموا في هذه الحروب ، وجرت إتصالات بينهم وبين ملوك أوروبا بهدف قيام خلف مسيحي يكون للأخباش دور فيه بمهاجمة الدول الإسلامية من الجنوب .

ولما وصل البرتغال إلى شرق أفريقيا كان من أهدافهم الإتصال بالحبشة للإتفاق على عمل مشترك ضد القوى الإسلامية - وكانت الملكة هيلانة ملكة الحبشة قد أرسلت في عام ١٥١٠م رسولا إلى الملك عما نويل ملك البرتغال بهدف الإتفاق على هذا العمل ، ومن ضمن ما جاء في رسالة ملكة الحبشة إنها لا تعمل على مهاجمة المسلمين المتمركزين في السهول المحيطة بالحبشة فحسب - لكنها أيضاً تنوى مهاجمة مكة وهي في هذا بحاجة لمساعدة الأسطول البرتغالي الذي أحرز انتصارات حاسمة على الأساطيل الإسلامية في المحيط الهندي^(٢) .

ونشير إلى أن البرتغال استجابت لهذا الطلب الحبشي والذي باركته وزكته البابوية فأرسلت قوة على رأسها أحد أبناء فاسكودا جاما ، وقد مُنيت القوات البرتغالية بخسائر فادحة وقتل قائدها - لكن لم تستطع القوات الإسلامية أن تحقق نصراً حاسماً على الحبشة والقوات المؤازرة لها .

(١) للمزيد من التفاصيل يُرجع إلى : زاهر رياض (دكتور) : كنيسة الإسكندرية في أفريقيا (١٩٦٢) .

(٢) حسن أحمد محمود : إنتشار الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ج١ (١٩٨٦) ص ٤٦١ .

هذا على أن القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) شهد فصلاً جديداً فى حركة الجهاد الإسلامى بين مسلمى شرق أفريقيا والحبشة .

ففى هذه المرحلة من الصراع بين الأجباش والمسلمين ظهرت إمارة عدل الإسلامية - وبعض المؤرخين يُرجع التغيير الذى حدث إلى إنتقال السلطة فى هذه الإمارة الإسلامية بشرق أفريقيا إلى أيدي طائفة جديدة من أمراء المسلمين اتخذت لقب (إمام) .

ومن أبرز من ظهر من أئمة هذه الإمارة فى ذلك الوقت إمام أحمد بن إبراهيم الذى اشتهر باسم القرين أو جرين أو جراى^(١) .

وقد ولد هذا الإمام فى أحد الأقاليم بشمال هرر فى عام ٩٠٨هـ / ١٥٠٠م من أب وأم صومالية ، وقد تعلم علوم الدين والفقه فى هرر حيث كانت فى ذلك الوقت من المدن الإسلامية الزاهية ، كما تعلم الفروسية وبرع فى فنون القتال وتزوج ابنة الإمام محفوظ حاكم إمارة عدل .

وفى ذك الوقت كانت الإمارات الإسلامية بشرق أفريقيا مفككة بما أتاح للملك الحبشة أن يُحكم قبضته عليها ويفرض عليها الولاء ودفع مبالغ من المال كدليل على تبعيتها للحبشة .

وقد كان أحمد بن إبراهيم يعمل تحت قيادة (الجرايون) قائد إماره عدل ، فلما مات هذا القائد خلفه - أحمد بن إبراهيم وقد لُقّب بالإمام لتقواه وتدينته^(٢) .

وكان أول عمل قام به الإمام أحمد هو توحيد الإمارات الإسلامية الواقعة على حدود الحبشة وجمع شمل هذه الإمارات حوله ، وقد تم ذلك بعد أن نقل عاصمة دولة عدل فى عام ١٥٢١ إلى مدينة هرر .

(١) يُرجع البعض هذه التسمية (القرين أو الاشول) إلى أنه فعلاً كان يستخدم يده اليسرى فى القتال بمهاره فائقة .

(٢) أفضل ما كتب عن حياة الإمام أحمد وجهاده :
عرب فقية ، شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن عثمان : فتوح الحبشة جزء إن (نشره رينيه باسيه - مارس ١٨٩٧) .

وكانت الحبشة فى ذلك الوقت تحت حكم الملك لبنى دنجل ، وكانت أمه الملكة هيلانه وصية عليه إلى أن توفيت فى عام ١٥٢٥ ، وكان هذا الملك الشاب يستهين بقوه المسلمين فقد هاله امتناع الإمام أحمد عن دفع الجزية التى كان يدفعها سلاطين عدل - فاستعد فى عام ١٥٢٧ لأن يُلْقن هذا الأمير المسلم درساً - لكن الأمير أحمد كان قد استعد لقتال الأحباش بل لغزو بلاد الحبشة ذاتها .

وفى سنة ٩٣٥هـ / ١٥٢٩م آحرز الأمير أحمد نصراً على الاحباش فى موقعة (شنبر كورى) ، وأعقب ذلك فى عام ١٥٣١ بدخوله دوارو ، وشوه ، ومهره ، ولاستا ، واستعاد إمارات بالى ، وهديه ، وسدامة - وهكذا لم يأت عام ١٥٣٥ حتى كان المسلمون يُطرون على جنوب الحبشة ووسطها مما أضطر الملك الحبشى للهروب من وجه الإمام .

وكان الأحباش قد استنجدوا بملك البرتغال ليرسل لهم قوة تساعدتهم فى حربهم ضد المسلمين ، وقد استجاب ملك البرتغال فعلاً فأرسل نجده للحبشة قوامها أربعمائة جندى من حملة البنادق ، كما استنجد الإمام أحمد بالعثمانيين فأرسلوا له تسعمائة من حملة البنادق وعشر مدافع ، وقد استمرت المعارك بين الطرفين ، وقد أطنب عرب فقيه فى شرح تفاصيل هذه المعارك التى إتخذت صورة حرب دينية .

ونشير إلى أن اليمن لعبت دوراً هاماً فى تزويد قوات الإمام بحاجتها من العتاد والمون بالإضافة إلى النجديات التى زوده بها الأتراك من قاعدتهم فى زيلع^(١) .

وكان نجاح الإمام أحمد فى إقتحام أبواب عاصمة الملك الحبشى (أمهرا) رغم تحصينها - مرحلة حاسمة فى هذا الصراع ، وقد عاد الامام أحمد بعد هذا النصر لعاصمته (هرر) للراحة والإستعداد للرحلة القادمة ، بينما هرب الملك الحبشى تاركاً عاصمته وطلباً للنجاة بحياته .

وقد توفى الملك الحبشى لبنى دنجل فى عام ١٥٤٠ وخلفه ابنه كلاديوس^(١) . وقد

(١) زاهر رياض : الإسلام فى إثيوبيا (د . ت) ص ٢٥٠ وما بعدها . وكذلك

محمد المعتصم : مهدي الصومال - بطل الثورة ضد الاستعمار (١٩٦٥) ص ١٦ وما بعدها .

(٢) انظر وصف عرب فقيه للعاصمة وتحصيناتها وكنائسها الفخمة :

عرب فقيه : مرجع سابق ص ١٨٩ .

طلب الملك الحبشى الجديد نجدة جديدة من البرتغال ، وقد أمدّه البرتغاليون بنجدة من ٥٠٠ جندي مدربين تدريباً جيداً ومسلحين بالأسلحة النارية ، كما أرسلوا له قوة بحرية إستطاعت فرض حصار على شاطئ الحبشة المشرقى لتحول دون وصول نجيدات من اليمن أو غيرها للإمام أحمد الذى كانت جيوشه قد بدأت تعاني من الإنهاك بسبب تعدد المعارك ، وكثرة الذين استشهدوا من القادة البارزين فى هذه المعارك رغم ما أحرزته جيوش الإمام من انتصارات .

وقد جُرح الإمام أحمد جرحاً مُمِيتاً فى إحدى المعارك التى شارك فيها الجنود البرتغال مع الأحباش ، وانتهى الكفاح البطولى للأمير أحمد جران الذى إستمر حوالى خمس عشرة سنة (١٥٢٨ - ١٥٤٣) ، وكان لموت هذا المجاهد أثره على جيشة الذى بدأ يتقهقر أمام الأحباش والبرتغال .

وقد اختار المسلمون ابن اخت الإمام أحمد - الأمير نور الدين بن مجاهد إماماً ليخلف خاله فى الجهاد (٩٥٩هـ / ١٥٥١م) ، واستطاع هذا القائد العربى الجديد أن يشن هجوماً ناجحاً على القوات الحبشية وقتل فى القتال الملك كلا ديوس فى عام ١٥٥٩م .

لكن استطاع الأحباش بعد ذلك أن يعاودوا الكرة معتمدين على ما أصاب القوات الإسلامية من فتور بعد مقتل قائدها الأول الإمام أحمد - وانتهى الأمر بأن أُضطر الأمير نور الدين إلى اللجوء إلى حاكم مصوع التركى^(١) .

على أننا نشير إلى أن جهاد الإمام أحمد قد أتى بشماره فقد أدت إنتصاراته المتتالية وإصلاحاته التى عممها فى البلاد الشاسعة التى خضعت له - لازدهار التجارة واستتباب الأمن وانتشر الإسلام على نطاق واسع حتى أصبحت هرر مركزاً إسلامياً بارزاً للإسلام وتعاليمه فى شرق أفريقيا كلها ، وقد استمرت هذه الآثار الثقافية والدينية حتى بعد إنتهاء حياة هذا البطل المغوار .

(١) زاهر رياض : تاريخ اثيوبيا (١٩٦٦) ص ٩٧ .

ارتريا والحبشة (اثيوبيا) :

أشرنا عند الحديث عن هجرة القبائل العربية إلى الساحل الشرقى للقارة إلى أن هذه القبائل انتشرت فى السهول المحيطة بهضبة الحبشة وتركزت فى الموانئ الساحلية مثل مصوع ، وبيلول ، وعصب ، واوبوك ، وتاجورة ، وزيلع ، وبلهار ، وبربرة .
وقد ساهمت هذه القبائل فى نشر الإسلام فى المناطق التى استقرت بها ، بل وفى الحبشة ذاتها - وقد شهدت المنطقة حروباً متعددة بين حكام الحبشة وبين المسلمين المستقرين فى السهول المحيطة بها أشرنا إليها من قبل .

وقد دخلت الدولة العثمانية طرفاً فى هذه الحروب لتساند القوى الإسلامية خاصة حين دخل البرتغال كطرف فى النزاع لمساندة الحبشة مما أدى لأن تتخذ هذه الحروب صبغة الحروب الدينية .

وقد رأت الدولة العثمانية - بعد أن أصبحت القوة الإسلامية المسئولة إلى حد كبير عن صد العدوان عن العالم الإسلامى - أن تنشئ ما عُرف « بولاية الحبش العثمانية »^(١) .

وقد شملت هذه الولاية سواكن ، ومصوع على الساحل الأفريقى وذلك لمراقبة حركة الملاحة فى البحر الأحمر ولتكون بمثابة (رباط) لقوة عثمانية ترقب حركة الأحباش بالذات ومن يساندهم من القوى الأوروبية .

ويرجع الفضل فى تأسيس ولاية الحبش الإسلامية إلى أزدمر باشا الذى ولى شئون اليمن فى الفترة من ٩٥٦ إلى ٩٦٢هـ (١٥٤٩ - ١٥٥٥ م) - وقد عُهد فى فترة من فترات التاريخ لوالى جده بأمر هذه الولاية العثمانية الجديدة .

وقد أنيط بأمر هذه الولاية فى فترات متقطعة منذ عهد محمد على إلى والى

(١) عن ولاية الحبش العثمانية ، وتاريخها ، ودورها فى الأمن القومى العربى يرجع إلى : شوقى الجمل : ولاية الحبش العثمانية - بين آياله جده والإدارة المصرية ودورها فى الأمن القومى العربى (بحث قُدم فى الندوة الدولية الخاصة بمصر والجزيرة العربية فى التاريخ ٣- ٥ أبريل ١٩٩٣م (بكلية آداب جامعة القاهرة) .

مصر وأخيراً استقرت فى أيدى الإدارة المصرية فى عهد الخديوى إسماعيل ، لكى تدرأ عن هذه المناطق الهامة الأطماع التى بدت من الدول الإستعمارية الأوربية^(١) .

على أن التدهور الاقتصادى والسياسى الذى إنتاب مصر منذ أواخر عهد إسماعيل - أتاح فرصة ذهبية للدول الاستعمارية لتحقيق أطماعها فى هذه الجهات فضغطت إنجلترا على الحكومة المصرية لإخلاء هذه الجهات^(٢) .

وكانت إيطاليا بالذات - قد بدأت نشاطها فى منطقة عصب التى كانت تحت الإدارة المصرية ، وبدأ النشاط الإيطالى على يد شركة ملاحية ايطالية - شركة روباتينو (Rubbatino Steam ship Comp .) وبمساندة أحد رجال الدين الايطاليين الذى كان كثير التردد فى ذلك الوقت على الحبشة وعلى شرق أفريقيا وهو القس جوزيب سايتو (Giusoppe Sapetto) وانتهى الأمر بإعلان الحكومة الإيطالية فى ٥ يوليو ١٨٨٢م إنشاء ما عرف باسم مستعمرة إريتريا .

على أن إنضمام إيطاليا فى الحرب العالمية الثانية - لجانب المحور كان إيذاناً بتصفية مستعمراتها فى أفريقيا .

وكانت إثيوبيا تسعى لضم إرتريا لها ، ورغم أن غالبية سكان إرتريا من المسلمين- فقد نجحت إثيوبيا فى تكوين حزب من بعض الإرتريين يُطالب بإتحاد إرتريا وإثيوبيا ، وقد شكلت الأمم المتحدة لجنة لمعرفة رغبات أهالى إرتريا - وبناءً على تقرير اللجنة قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى دورتها الخامسة أن تكون إرتريا وحدة ذات استقلال ذاتى على أن تنضم مع إثيوبيا فى إتحاد فيدرالى تحت سيادة التاج الإثيوبى ، وفى ١٤ نوفمبر ١٩٦٢م تحول الاتحاد الفيدرالى إلى إتحاد كامل .

وأدى إتحاد إثيوبيا لضم إرتريا إلى قيام (حركة تحرير إرتيريا) التى تأسست فى نوفمبر ١٩٥٨م

(١) يرجع للبحث السابق ، والفرامانات الصادرة بإدارة هذه المناطق فى مجموعة الفرامانات الشاهانية .

(٢) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى : شوقى الجمل : سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر (١٩٧٤م) .

وقد أطلق عليها جمعية السباعية لأنها فى البداية كانت منتظمة على أساس خلايا سرية كل خلية تتكون من سبعة أشخاص ، وبدأت بتنظيمات للعمال والطلبة الإريتريين فى القاهرة والسعودية والسودان ثم انتقل نشاطها إلى داخل إريتريا - وقد حددت أهدافها فى توحيد الشعب الإريتري ، والعمل من أجل إستقلال إريتريا ، وتشكيل حكومة ديمقراطية بعد الإستقلال .

وقد تحولت الحركة إلى ما عُرف بـ (جبهة التحرير الإريتريّة) ، وأعلنت الجبهة فى سبتمبر ١٩٦١م الثورة المسلحة . وقد ساندت البلاد العربية نضال الشعب الإريتري فى سبيل حقه فى تقرير مصيره .

وأخيراً اضطرت إثيوبيا للإعتراف للشعب الإريتري بهذا الحق ، وفى الرابع والعشرين من مايو ١٩٩١م نال الشعب الإريتري استقلاله وأختير الرئيس السياسى أفورقى رئيساً للدولة الجديدة^(١) .

ثالثاً : المسلمون فى الصومال :

تمتد سواحل الصومال مسافات طويلة على البحر الأحمر وخليج عدن والمحيط الهندى - فهى تمتد من خط عرض ٢ جنوباً إلى خط عرض ١٣ شمالاً ، ويحدها شرقاً المحيط الهندى عند خط طول ٥١ شرق جريتش ، ومن الغرب خط ٣٥ شرق جريتش . وأهمية موقع الصومال الإستراتيجية على المحيط الهندى لا تنكر ، فيطل الصومال على المحيط الهندى بساحل طوله ١٨٠٠ كم وعرضه يصل إلى ٤٥٠ كم . ويبلغ طول ساحله الشمالى المطل على خليج عدن ١٢٠٠ كم بعرض ١٧٠ كم ، ويشرف الصومال أيضاً على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر (باب المندب) وتبلغ مساحة الصومال كله حوالى ٣٢٠ ألف ميل مربع^(٢) .

(١) لمزيد من التفاصيل عن تاريخ ارتريا يرجع إلى : محمد عثمان أبو بكر : تاريخ إريتريا المعاصر (١٩٩٤) . والمؤلف من المناضلين فى صفوف جبهة تحرير إريتريا .

(٢) محمد عبد الغنى سعودى (دكتور) : الصومال عضو جديد فى الجامعة العربية (مجلة البحوث والدراسات العربية - العدد الخامس - يوتية ١٩٧٤) .

وقد ارتبطت الأمة الصومالية بالأمة العربية منذ فجر التاريخ ، ويرجع البعض العلاقات العربية الصومالية إلى دولة سبأ ، وقد كتب عن الصومال عدد غير قليل من المؤرخين والزحالة العرب المسلمين من أمثال ياقوت الحموى ، والمسعودى ، والإدريسى ، وابن بطوطه ، والقلقشندي ، والمقرئزي ، وأبى الفداء ، وابن حوقل وغيرهم .

ومنذ ظهور الدعوة الإسلامية كانت الصومال أسبق من أى دولة أخرى أفريقية أو آسيوية فى إستقبال الدعوة ، وذلك بحكم صلات الصومال القديمة ببلاد العرب ، ووجود جاليات عربية على ساحل الصومال منذ إنهيـار سد مأرب فى عام ١٢٠ م .

وكان اتجاه عرب عمان - بحكم موقعهم الجغرافى - فى نشر الدعوة الإسلامية تجاه الأراضى الصومالية وشرق أفريقيا ، كما أن إنقسام المسلمين إلى شيع فى عهد على بن أبى طالب - دفع بعض الشيعة إلى الرحيل إلى بلاد الصومال ، ولذا شهد الصومال نماذج متعددة من الفرق والمذاهب الإسلامية .

ومن أشهر دُعاة الإسلام فى الصومال خلال هذه الهجرات الإسلامية^(١) :

(١) هجرة سليمان وسعيد الجلنديين ، ولعلها أول حركة إستيطان إسلامية عربية على سواحل الصومال ، وكانا ينتميان لقبيلة عمانية حكمت عمان من ٧٥ إلى ٩٥ هـ (٥٠٧ - ٦٨٥ م) وكانت هذه هى الدعوة الأولى المنظمة للإسلام فى الصومال .

(٢) إلزيدون : وقد استقروا بمنطقة بنادر ونشروا الدعوة الإسلامية ، والبعض يرجع بنسبهم إلى أحفاد على بن عم النبي عليه السلام .

(٣) الأخوة السبعة من الإحساء : وهم من قبيلة الحارث ويرجع لهم الفضل فى إنشاء مدينة مقدشوه .

(١) للدراسة التفصيلية لهذه الهجرات يرجع إلى : حمدى السيد سالم : الصومال قديماً وحديثاً ج١ (١٩٦٥) ص ٣٤٩ وما بعدها .

(٤) حسن بن علي وأبناؤه الستة : وهم من المسلمين الفارسيين ، وكانت هجرتهم للساحل الصومالي حوالى سنة ٩٧٥م ، وقد شيدوا عدة مساجد ومباني على الطراز الشيرازى .

(٥) الشيخ آبادير : وقد وصل إلى هرر فى القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) وأصبحت بفضلها قاعدة إسلامية لنشر الإسلام فى الصومال والحبشة .

(٦) سلالة عقيل بن أبى طالب : استقروا بأرض زيلع فى مدينة (جبرت) فأطلق عليهم لفظ الجبرية ، وكان لهم دور هام فى نشر الإسلام فى النصف الشمالى من بلاد الصومال بوجه خاص ، وفى الحبشة أيضاً .

(٧) شيوخ حضر موت : فى القرن الخامس عشر الميلادى ، وفد إلى الصومال أربعة وأربعون شيخاً عربياً ونزلوا فى مدينة بربرة ثم انتشروا منها إلى بلاد الصومال المختلفة حيث قاموا بنشر الدعوة .

هذا ونشير إلى أنه انتشرت فى الصومال عدة طرق صوفية من أهمها القادرية ، والصالحية والأحمدية ، والرفاعية^(١) .

وكان لاتباع هذه الطرق الصوفية دور هام فى نشر الإسلام فى الصومال^(٢) .

وقد ترتب على إنتشار الإسلام فى الصومال - أن ظهرت مراكز متعددة للدعوة الإسلامية لعل من أبرزها مقدشوه ، وبراوو ، ومركة ، وهرر .

وقد سبق أن أشرنا إلى العداء الذى نشأ بين مسلمى الصومال والحبشة ، والدور الذى لعبه المجاهد الصومالى أحمد بن إبراهيم الذى اشتهر باسم أحمد جري فى هذا المجال .

وكما يذكر ترمينجهام - فإن مسلمى الصومال يكونون أكبر مجموعة إسلامية فى شرق أفريقيا .

(١) Touval , S . : Somali Nationalism (Cambridge 1963) P . 11

(٢) Trimingham , J . S . : Islam in East Africa (Oxford 1964) P . 133

وكان من أثر إنتشار الإسلام فى الصومال ، وما تلاه من ظهور الطرق الصوفية ، واختلاط العرب بالصوماليين - أن انتشرت اللغة العربية لكن بعد أن وقع الصومال فريسة للإستعمار الأوربي كما سنوضح - عُمِد اتباع الإستعمار - فى محاولة لاضعاف صلة الصوماليين بباقي العالم الإسلامى - لكتابة اللغة الصومالية بحروف لاتينية ، على الرغم من إحتجاجات المثقفين الصوماليين الذين نادوا بأن شعب الصومال المسلم يحتاج دائماً إلى دراسة الدين وقراءة القرآن الكريم بلغة الدين وهى العربية .

هذا ونشير إلى أنه لما بدأت أنظار الدول الإستعمارية تتجه إلى الصومال بموقعه الإستراتيجى الهام منذ منتصف القرن التاسع عشر - اتجهت مصر لمد إدارتها لهذه الجهات لحمايتها من الأطماع الاستعمارية الأوربية .

وطلب الخديوى اسماعيل من الدولة العثمانية أن تعهد لمصر بإدارة مصوع وسواكى لتدراً عنهما أطماع الدول الإستعمارية التى كانت قد اتجهت لعقد معاهدات مع من استطاعت اغراءهم من رؤساء القبائل والمشايخ متجاهلة السلطات الشرعية^(١) . وقد سبق أن أشرنا إلى أن شركة روياتينيو الإيطالية إتبعَت نفس الأسلوب لشراء منطقة فى رأس عصب وحاولت إنجلترا وضع يدها على بربره بنفس الطريقة .

ولذا أسرعَت مصر بوضع يدها على بربره الميناء الهام المطل على المحيط الهندى والذى لا يبعد كثيراً عن المدخل الجنوبى للبحر الأحمر .

كما طلبت مصر من الدولة العثمانية إحالة ميناء ريلع الذى كان تابعاً للواء الحديدية إلى الحكومة المصرية ، وفعلاً صدر فى ٢٧ جمادى الأول ١٢٩٢هـ (أول يولية ١٨٧٥ م) فرمان بذلك^(٢) .

وشكلت مصر محافظة خاصة بسواحل البحر الأحمر ، ولما كانت سلطنة هرر الإسلامية قد وصلت إلى درجة كبيرة من الضعف - فقد أرسلت حملة مصرية بقيادة رؤف باشا فتحت هرر وضممتها للإدارة المصرية ، وأبقى أميرها السابق محمد بن عبد

(١) دفتر رقم ٢١ عابدين تركى - مكاتبة رقم ٩٦ ص ٢١ فى ٧ ذى القعدة ١٢٨١هـ .

(٢) دفتر ٢٥ عابدين صادر ص ٢٥٦ رقم ٢٢ .

الشكور محافظاً لها تحت الإدارة المصرية ، وقد شكلت حكمدارية مستقلة عن حكمدارية السودان أطلق عليها اسم (حكمدارية هرر وملحقاتها) وكان يتبعها بربرة ، وزيلع ، وهرر .

وقد قامت هيئة أركان الجيش المصرى بدراسة أوضاع هذه الجهات إلى خضعت للإدارة المصرية وتحديد احتياجاتها العمرانية ، وما تحتاجه من مستشفيات ، ومدارس وغيرها ، وبناءً على هذه التقارير قامت مصر بمشروعات متعددة لإمداد هذه الجهات بالمياه العذبة ولنشر الأمن فيها وتنظيم المعاملات وإقامة المدارس والمستشفيات وغيرها مما كفل لسكانها حياة مستقرة طوال العام فاستقروا بها بعد أن كانوا يُمارسون حياة الترحال ولا يستقر بهم المقام إلا فى فترات محدودة من العام^(١) .

على أن انجلترا بالذات - لم تنظر بعين الإرتياح لسيطرة مصر على الموانئ الهامة فى البحر الأحمر كزيلع ، وبربرة ، وبلهار .

وبرغم ما تكبدته الحكومة المصرية من نفقات باهظة فى تأمين هذه الجهات ، وفى تعميرها وإدخال وسائل المعرفة الحديثة بها - فقد ضغطت الحكومة الانجليزية على الحكومة المصرية لإخلاء هذه الجهات مستندة لما انتاب مصر منذ أواخر عهد اسماعيل من تدهور إقتصادى وسياسى .

ولم يأت عام ١٨٨٤م حتى كانت الدول الاستعمارية قد اقتسمت أملاك مصر فى هذه الجهات فأخذ الإيطاليون بمعاونة الإنجليز - منطقة عصب كما أشرنا من قبل ، واستطاعت إيطاليا أن تتفق مع صديقتها إنجلترا فاحتلت مناطق الصومال الجنوبية ووضعت يدها على موانئ براوة ومقديشو وكونت منها ما يسمى (بالصومال الإيطالى) .

ووقع اختيار إنجلترا على الجهات المقابلة لعدن على البر الثانى فأجبرت مصر

(١) للدراسة المستفيضة : لأوضاع هذه الجهات قبل الإدارة المصرية وما أدته الإدارة المصرية بها من خدمات يرجع إلى :

شوقى الجمل : سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ١٩٧٤م - وكذلك شوقى الجمل : الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الأحمر .

على إخلاء بربره وبلهار وزيلع واحتلتها هي وكونت مأسى (بالصومال الإنجليزي) ،
واتفقت مع إيطاليا فى عام ١٨٩١ على رسم حدود منطقة نفوذ كل من الدولتين .

أما هرر فقد أجبرت إنجلترا مصر على إخلائها فى عام ١٨٨٥ وتسليمها للأمير
عبد الشكور ابن أمير هرر السابق ، ويبدو أن إنجلترا كانت تعتبر هذا الإجراء إجراء
مؤقتاً حتى تتاح لها الفرصة لوضع يدها عليها - لكن فى عام ١٨٨٧ زحف منليك
ملك شوا على هرر واستولى عليها ولا تزال فى يد الأحباش إلى اليوم .

ولم تخرج فرنسا صفر اليدين من هذه القسمة ، فقد تذكر الفرنسيون أن فرنسياً
اشترى أو على الأقل إدعى إنه اشترى من أحد مشايخ القبائل ميناء (أوبوك) فى
عام ١٨٦٢ - ولم تهتم فرنسا بالأمر - لكن فى عام ١٨٨٢ حين فتحت مدافع الانجليز
التي كانت تضرب الإسكندرية آذان الفرنسيين وأبصارهم إلى التغيير المترقب حدوثه فى
هذه المناطق الهامة - بادرت فرنسا إلى احتلال (أوبوك) والتوسع فيها للداخل ،
فأستولت على تاجوره وعلى جيبوتى وغيرها من الجهات الساحلية القريبة - وفى
سنة ١٨٩٦ صدر مرسوم فرنسى بضم هذه الجهات تحت إسم (الصومال
الفرنسى)^(١). وبعد انتصار الأحباش على الإيطاليين فى معركة عدوه سنة ١٨٩٦
اتجهت أنظار الأحباش لإقليم الأوجادين الصومالى ، ونجحت القوات الحبشية فى
السيطرة على الإقليم .

على أن أبناء الصومال لم يستكنوا للوضع الذى آلت إليه بلادهم بعد أن مزقتها
أربع دول إستعمارية ، فلم تلبث أن إندلعت الثورة فى عام ١٧٩٩م وظلت مشتعلة
أكثر من عشرين عاماً . وتزعج حركة المقاومة ضد الاستعمار محمد بن عبد الله
حسن، وهو فى الأصل من قبيلة عربية هاجرت لهذه المنطقة فى القرن السابع الميلادى
وإستوطنتها ، وقد لُقّب هذا الزعيم بمهدى الصومال تشبهاً بمهدى السودان^(٢) .

(١) للتفاصيل يرجع إلى :

شوقى الجمل : الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الأحمر (١٩٥٩) .

(٢) للتفاصيل يرجع إلى :

Lewis , I.M . : The Modern History of Somali Land (London 1961) P . 46 .

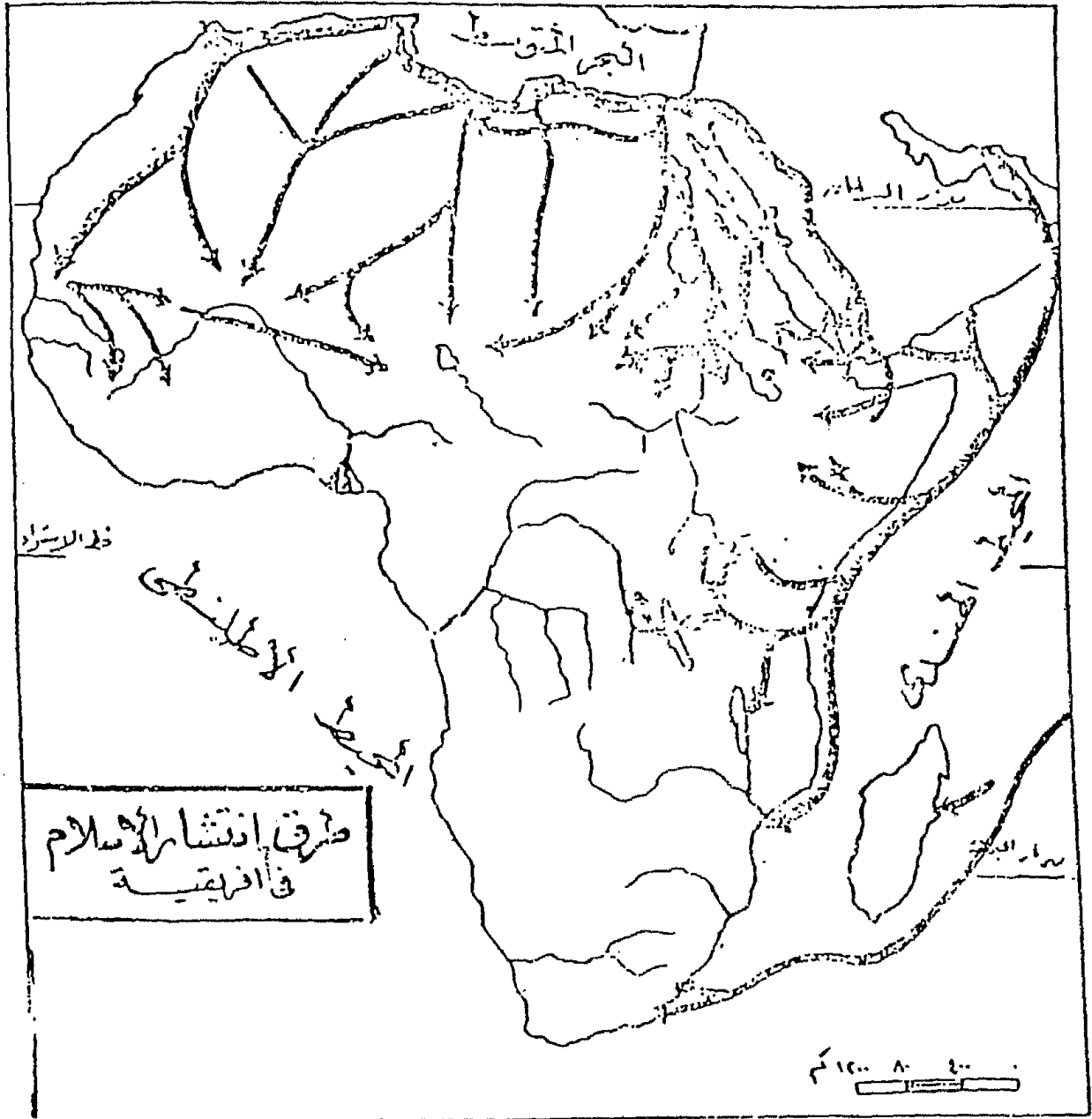
ونادى محمد بن عبد الله حسن يتكفل الصوماليين للوقوف فى وجه المستعمر ، واستطاع أن يوقع بالقوات الإنجليزية هزائم حتى لقبوه بلقب (The Mad Millah) (١) وقد أنهكت حرب العصابات التى شنتها قوات الصوماليين الثائرين - الإنجليز حتى اضطروا للجلاء عن الداخل والأقتصار على المناطق الساحلية التى تكون فى حماية السفن الحربية - وحين نشبت الحرب العالمية الأولى ، واشتبكت القوات العثمانية فى الحرب ضد الحلفاء - أعلن المجاهد الصومالى - الجهاد ضد دول الحلفاء الغربيين ، واستمر يناضل حتى انتهت الحرب ، واستطاعت قوات الحلفاء بعد ذلك أن تتفرغ لإخماد ثورة الصوماليين ، وانتهى الأمر بقتل الزعيم الصومالى فى عام ١٩٢٠م بعد أن رسم للصوماليين طريق الجهاد وحدد أهدافه ، وهى الحرية والوحدة لأرض الصومال كلها (٢) .

ولا شك فى أن حركة محمد عبد الله حسن كانت خطوة هامة فى تاريخ الصومال أدت فى النهاية لقيام جمهورية الصومال المستقلة عام ١٩٦٠م .

* * *

(١) عن تاريخ حياة محمد بن عبد الله حسن يرجع إلى :
محمد المعتصم سيد (دكتور) : مهدي الصومال بطل الثورة ضد الإستعمار (د . ت)
ص ٢٢ :

(٢) عن تفاصيل المعارك بين البطل الصومالى وبين الإنجليز يرجع إلى :
عبد الله المشد ، محمود خليفة (دكتور) : تقرير عن أحوال المسلمين فى بلاد الصومال ،
لارتريا ، وعدن والحبشة (القاهرة ١٩٥١) ص ٩٠ وما بعدها .



(شكل ١)

الفصل الثانى

انتشار الإسلام فى مصر والمغرب

كان استيلاء المسلمين على مصر عام ٣١٣هـ / ٦٤١م إيذاناً بامتداد سلطانهم غرباً صوب الشمال الأفريقى ، وجنوباً صوب بلاد النوبة والسودان .

فقد توالى حملات المسلمين - بعد فتح مصر - غرباً حتى دخل الشمال الأفريقى كله فى كنف الدولة العربية الإسلامية العظيمة وأصبح يمثل الجناح الغربى فى جسم العالم العربى الإسلامى المتكامل .

كما توالى حملاتهم جنوباً حتى دانت لهم ممالك النوبة المسيحية ، وسنمر سريعاً بالأحداث الهامة التى إنتهت بهذا العمل الكبير .

أولاً : انتشار الإسلام فى مصر :

كانت مصر فى النصف الأول من القرن السابع الميلادى تحت الحكم البيزنطى ، وكان الشعب فى حالة سيئة - فمنذ استولى الرومان على مصر سنة ٣٠ ق . م جعلوها مخزناً يمد روما بحاجتها من الغلال ، وقد تفنن الرومان فى جباية الضرائب ، فكانت تُجبى على الرؤوس والصناعات ، وفرض على المصريين إيواء من يمر بهم من موظفى الحكومة الملكيين والعسكريين^(١) .

وقد دخلت المسيحية مصر على يد القديس مرقس الذى بنى أول كنيسة فى الإسكندرية حوالى عام ٦٩م - وعلى الرغم من أن المسيحية أصبحت الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية منذ عام ٣٨٥م فى عهد الإمبراطور ثيودوسيوس Theodosius

(١) عن أوضاع مصر قبل الفتح العربى الإسلامى - انظر :

Graftan , Milne : History of Egypt Under Roman Rule (London . 1913) .

فقد إستمر إضطهاد أقباط مصر^(١) إذ كان مذهب الكنيسة المصرية يختلف عن مذهب الكنيسة البيزنطية ، ولذا عانى أقباط مصر الكثير من إضطهاد الحكام البيزنطيين .

وقد ترتب على حركة الإضطهاد التى عانى منها أقباط مصر هجرة عدد كبير من المصريين نحو الجنوب ، فلبجأ كثيرون إلى الصحراء والأماكن النائية وإلى أسوان وما حولها ، وأمعن كثيرون منهم فى الهجرة جنوباً ، واستقر بعضهم فى بلاد النوبة ، وقد عاش كثيرون منهم فى الأماكن النائية عيشة الرهبان وتكونت تجمعات منهم فى هذه الأماكن ، وأدى ذلك إلى قيام نظام الديرية فى مصر ، ولا يزال عدد من الأديرة المصرية فى الواحات الخارجة وفى غيرها من واحات مصر - تعطى فكرة عن هذا النظام الفريد الذى نشأ نتيجة الضغوط التى لاقاها هؤلاء المصريين .

وقد إتجهت أنظار العرب - بعد أن أوقعوا الهزيمة بالجيوش البيزنطية فى الشام - إلى أن يتوجوا هذا النجاح بفتح مصر بما لها من موقع هام على البحر المتوسط ، وباعتبارها الطريق لفتح الغرب .

ومهد العرب لفتح مصر بالإتصال بالقبائل العربية إلى كانت تُقيم على حدود فلسطين وتمتد بعض بطونها إلى مديرية الشرقية بمصر ، كذلك الإتصال بالمصريين الذين لم يكونوا على وفاق مع السلطات البيزنطية الحاكمة التى كانت تُسئ معاملتهم .

وفى عام ١٨ هـ / ٦٣٩ م - طلب عمرو بن العاص من الخليفة عمر بن الخطاب أن يأذن له بفتح مصر ، وظل يُهون عليه أمر فتحها ، ويُعدد له المزايا التى يجنيها المسلمون من هذا الفتح حتى أذن له الخليفة .

وسار عمرو بن العاص بجنده إلى العريش وفتحها من غير مقاومة تذكر ومنها وصل إلى مدينة القرما وحاصرها حتى تم له فتحها وتقدم عمرو حتى وصل إلى بلبس واستولى عليها وسار عمرو إلى أم دنين ، وطلب من الخليفة المدد - فأمدّه بأربعة آلاف مقاتل على رأسهم بعض مشاهير الصحابة هم الزبير بن العوام ، وعبادة ابن الصامت ، ومسلمة بن مخلد ، والقداد بن الأسود ، وتقدم صوب حصن

(١) حدث خلاف مذهبى بين المسيحيين فظهر مذهبان :

أ - المذهب الملكى ب - المذهب يعقوبى الذى اعتنقته الكنيسة المصرية .

بابلون وحاصره ، وقد امتد الحصار إلى سبعة أشهر حتى طلب المقوقس حاكم الروم من عمرو الصلح ، وكتب للإمبراطور هرقل بذلك - لكن الإمبراطور رفض الصلح وأرسل قوه لتدعيم الحامية الرومانية المدافعة عن العاصمة (الاسكندرية) التي كانت قوات المسلمين تحاصرها ، ، وأخيراً أضطر المقوقس لقبول شروط الصلح التي فرضها المسلمون ، وبموجبها تقرر أن ترحل الحامية الرومانية بأسلحتها على ألا يحاول الروم إسترداد مصر مرة أخرى^(١) .

وقد عامل المسلمون قبط مصر بمنتهى اللين - فخيروهم بين الإسلام أو البقاء على دينهم ، فمن أسلم منهم صار له ما للمسلمين من حقوق وعليه ما عليهم من واجبات ، ومن بقى على دينه فُرضت عليه جزية مقدارها ديناران على من بلغ الحلم من الرجال فقط .

ولما استتب الأمر للمسلمين بمصر نظموا الإدارة بها وعنوا عناية كبرى بالأعمال العامة الخاصة بالرى وغيره من أمور الدولة ، وقد تحسنت حال القبط فى ظل الإدارة الإسلامية ، وأمنوا على حياتهم وأموالهم وتخلصوا من ظلم الروم وإضطهادهم ، ومن الضرائب الفادحة ، والإلتزامات التي أثقل الرومان بها كاهلهم^(٢) .

وكان فتح مصر خطوة هامة نحو إمتداد التيار الإسلامى إلى شمال القارة وغربها ، وإلى جنوب مصر فى بلاد النوبة والسودان كما سنوضح بعد .

* * *

(١) عن مراحل الفتح يرجع إلى :

Butler , Alfred : The Arab Conquest of Egypt (Oxford 1902) ;

- ويرجع لخط سير الحملة .

- وعن شروط الصلح يرجع إلى : ابن عبد الحكم : فتوح مصر (القاهرة ١٩١٤) .

(٢) للمزيد من التفاصيل يرجع إلى :

حسن إبراهيم حسن : تاريخ عمرو بن العاص (القاهرة ١٩٢٦) .

- لإتهم بعض الكتاب عمرو بن العاص بحرق مكتبة الاسكندرية ، وهذا الإتهام ثبت بطلانه ، ومن يريد المزيد عن هذه التهمة وبطلانها يرجع إلى :

حسن إبراهيم حسن : نفس المرجع السابق ص ١٠٦ - ١١٨ .

- وكذلك حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى (١٩٣٥) ص ٣١٤ وما

بعدها .

ثانياً : امتداد النفوذ الإسلامى إلى المغرب :

كان استيلاء المسلمين على مصر ايذاناً بامتداد سلطانهم غرباً صوب الشمال الأفريقى ، فتوالى حملاتهم هلى هذه البلاد حتى دخل الشمال الأفريقى كله فى كنف الدولة العربية الإسلامية .

وسنمر سريعاً بالأحداث التى انتهت بهذا العمل العظيم الذى ترتب عليه أن صُيغ الشمال الأفريقى كله بالصبغة العربية وأصبح يمثل جزءاً من جسم العالم الإسلامى المتكامل^(١) . ففى عهد خلافة عثمان بن عفان - أرسلت حملة عبد الله بن سعد بن أبى السرح عامل مصر فى ذلك الوقت فأستطاعت أن توقع الهزيمة بجيوش قرطاج لكن تم الصلح بين الطرفين بعد أن غنم المسلمون غنائم كثيرة .

وفى خلافة معاوية بن أبى سفيان جهز جيشاً ضخماً من عشرة آلاف مقاتل التقى مع البيزنطيين ، وتوغل الجيش الإسلامى فى تونس .

وفى عام ٥٠ هـ / ٦٦٦م أعطيت قيادة الجيش العربى فى الشمال الأفريقى لعقبة ابن نافع فبنى مدينة القيروان فى قلب البلاد التونسية ، وذلك ليطيع الفتح العربى بطابع الإستقرار ، فكانت هذه هى الخطوة الأولى نحو ظهور ولاية إسلامية بهذه البلاد^(٢) .

وقد أحاط عقبة مدينته هذه بسور ، وجعل وسطها الجامع الذى نُسب إليه ، وبنى بها دار الإمارة - لكن الخليفة إستدعاه إلى الشرق .

وقد أعيد عقبة بن نافع مرة أخرى لإمارة أفريقية فى خلافة يزيد بن معاوية ، فتدارك أمر القيروان بعد أن كان قد أصابها الإهمال ، واتجه عقبة بعد ذلك لإتمام مد

(١) للدراسة التفصيلية يرجع إلى :

شوقى الجمل (دكتور) : المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث (القاهرة ١٩٧٧م)

(٢) ولد عقبة فى أوائل الهجرة النبوية ، فعد بذلك صحابى المولد ، وقد تولى إمارة

جيش افريقية مرتين .

القيروان : لفظ فارسى ، دخل فى العربية ومعناه محط الجيش ، ومناخ القافلة ،

وموضع اجتماع الناس فى الحرب .

النفوذ الإسلامى إلى باقى الشمال الإفريقى فاستولى على تلمسان ، ثم على طنجة فى المغرب الأقصى وخلصها من أيدي الرومان ، وتقدم عقبة فى بلاد المغرب فوصل إلى السوس الأدنى ، والسوس الأقصى واستولى على ميناى أسفى ، ووصل بذلك إلى المحيط الأطلسى ودخل فيه بفرسه حتى بلغ الماء لب الفرس وشهر عقبة سيفه ورفع بصره إلى السماء وهو يقول « اللهم لولا هذا البحر لمضيت فى البلاد أقاتل الكفر حتى لا يُعبد أحد سواك » (١) .

وهكذا خضع الشمال الإفريقى كله للدولة الأموية ، وانتشر الإسلام فى ربوعه .

لكن ثار البربر بقيادة زعيمهم كسلة على عقبة وقتلوه فى عام ٦٣هـ / ٦٨٢م ، وقامت دولة بربرية جديدة فى هذه البلاد إستمرت حوالى ست سنوات بينما انسحب الجيش العربى إلى طرابلس .

وفى عهد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان ندب أحد قواده حسان بن النعمان الغسانى لمتابعة الفتح ، واصطدمت قوات حسان بقوات البربر الذين اجتمعوا ناحية جبال أوراس تحت لواء امرأة بربرية تدعى ذهب بنت ثابت (الكاهنة) ، وقد ظنت الكاهنة أن المسلمين ، يطمعون فى ثروة مدن شمال أفريقية - فعمدت إلى تخريب المدن ، مما نقر قلوب الأهالى منها ، وقد يسر ذلك مهمة حسان وجيشه وانتهى الامر بقتل الكاهنة فى عام ٨٤هـ .

بعد ذلك دخل البربر فى الإسلام ، وكان منهم إثنى عشر ألف مجاهد مع جيوش المسلمين ، وانصرف حسان بعد ذلك لتعمير البلاد التى خضعت له .

ولما تولى موسى بن نصير الأمر فى إفريقية سنة ٨٥هـ - أجاز مولاة طارق بن زياد إلى بلاد الأندلس فى جيش عظيم من البربر والعرب - فاجتاز البحر ونزل المكان الذى عُرِفَ بإسمه (جبل طارق) ، وفتح الأندلس ، وقدم موسى بن نصير بعد ذلك

(١) المنجى الكعبى : تحقيق ، وتقديم لقطعة من كتاب الرقيق القيروانى - تاريخ إفريقية والمغرب (تونس ١٩٦٨) ص ٤٥ .

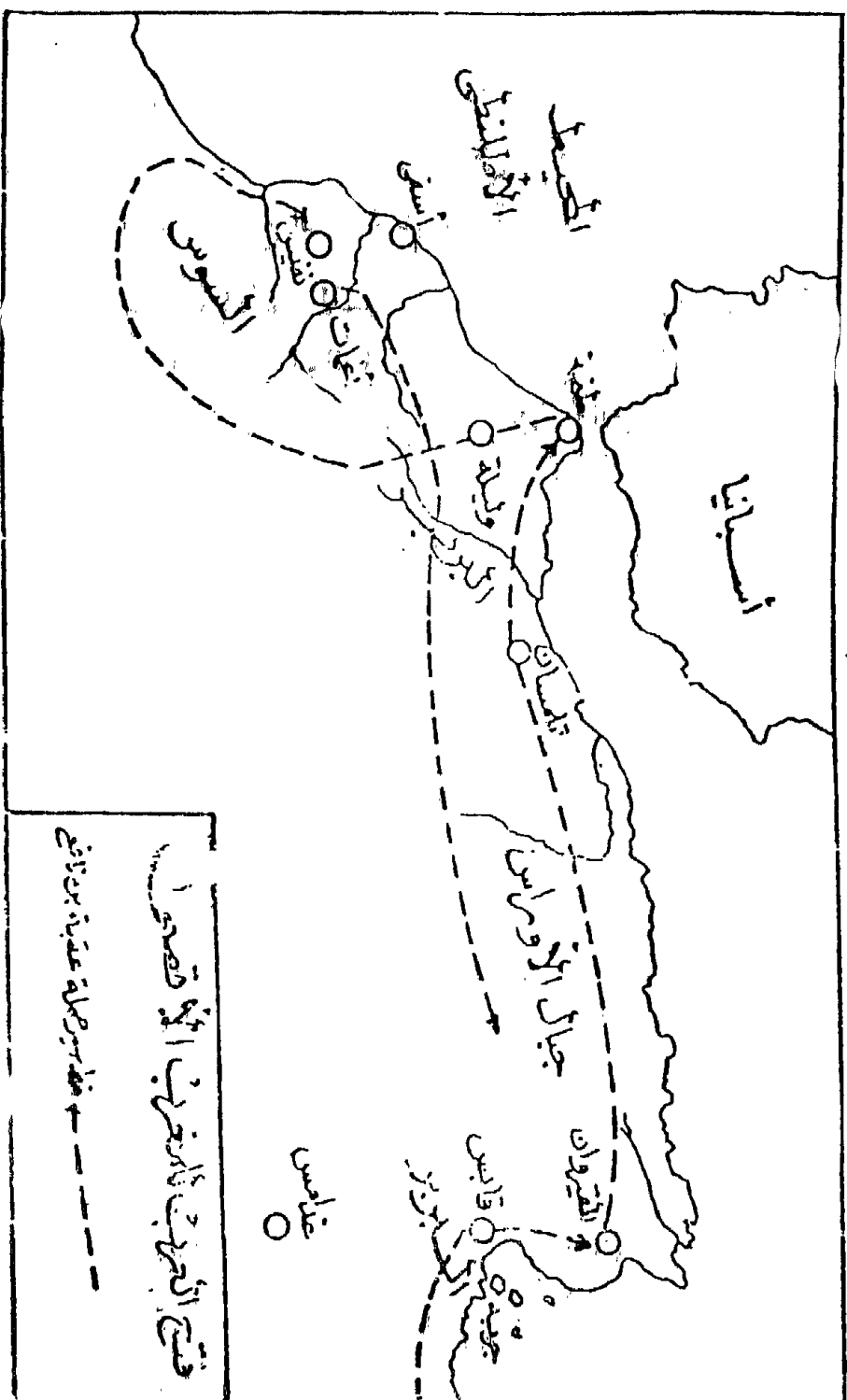
إلى الأندلس ليشارك فى هذا العمل العظيم ، وبعد ذلك عاد إلى القيروان فالشرق .

وقد تولى الأمر فى أفريقية ولاية متعددون منهم عبد الله بن الحبحاب الذى قدم إليها فى عام ١١٦هـ ، ويذكر له فتوحه فى بلاد السوس ، والصحراء الكبرى ، وأرض السودان وإنشاء جامع الزيتونة بتونس .

وبذلك إستقرت الأمور للمسلمين فى الشمال الأفريقى كله وأصبحت هذه البلاد تمثل الجناح الغربى للدولة العربية الإسلامية ، وبالطبع أصبحت هذه البلاد شديدة التأثر بالأحداث المختلفة التى تعرض لها العالم الاسلامى^(١) .

* * *

(١) ابن خلدون : ديوان المبتدأ والخبر (بولاق ١٢٢٠هـ)



(شكل ٣)

قيام دول إسلامية مستقلة بالغرب العربي :

أدى الانقلاب الذى ترتب عليه زوال دولة بنى أمية وظهور العباسيين إلى خروج الشمال الأفريقى كله من نفوذ الخلافة العباسية - فقامت به دول إسلامية مستقلة - يستثنى من ذلك تونس التى قامت بها دولة الأغالبة (١٨٤ - ٢٩٦ هـ) والتى ظلت على ولائها للعباسيين :

وقد وجدت الدعوة الشيعية فى الشمال الأفريقى بيئة صالحة للظهور ، فقامت دولة الأدارسة الشيعية بالمغرب الأقصى .

ويُرجع للأدارسة الفضل فى تأسيس مدينة (فاس) واتخذوها عاصمة لهم ، كما أسسوا فى عام ٢٤٥ هـ / ٨٥٩ م - جامع القيروان الذى أصبح منارة للإسلام ومركزاً هاماً للدراسة فى العالم السلامى .

وقد ظهرت بالشمال الأفريقى دولة شيعية أخرى هى الدولة العبيدية (الفاطمية) التى ظهرت فى البداية فى الجزائر حوالى عام ٢٧٩ هـ ، وانتسبت إلى فاطمة الزهراء روجة على بن أبى طالب وابنة الرسول ﷺ .

وفى عهد المعز لدين الله - أرسل قائده جوهر الصقلى إلى المغرب الأقصى فاستبأى عام ٣٤٢ هـ على فاس عاصمة الأدارسة ، وسير المعز لدين الله قائده جوهر فى جيش كثيف إلى مصر فاستولى عليها ، وبنى مدينة (القاهرة) ، وجاء الخليفة الفاطمى المعز لدين الله للقاهرة واتخذها مقراً لحكمه .

وفى ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ (إبريل ٩٧٠ م) وضع جوهر الصقلى حجر الأساس للجامع الأزهر ، وقد تم بناؤه فى ١٧ من رمضان ٣٦١ هـ (٢٢ يونية سنة ٩٧٢ م) أى أن البناء استغرق عامين ، ومنذ ذلك التاريخ غدا الأزهر منارة للمسلمين ، ولم يقتصر أثره على الناحية الدينية بل أصبح قلعة من قلاع العلم والمعرفة يفد إليها الطلاب من شتى الديار والأقطار (٢) .

(١) عن تأسيس فاس يُرجع إلى :

على بن أبى زرع الفاسى : الانيس المطرب بروض القهرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس (الرباط ١٩٧٣) .

(٢) للمزيد من التفاصيل يرجع إلى :

- شوقى الجمل : الأزهر ودوره السياسى والحضارى فى أفريقيا (١٩٨٨) .

- عبد العزيز محمد الشناوى - الأزهر جامعاً وجامعة - جزءان (١٩٨٣ ، ١٩٨٤) .

واستطاع الخلفاء الفاطميون بعد ذلك مد نفوذهم إلى الشام والحجاز ، واليمن
وهكذا أصبحت الدولة الإسلامية منقسمة إلى :

(١) الخلافة العباسية بالمشرق - وقاعدتها بغداد

(٢) الخلافة الأموية المجددة بالأندلس - وقاعدتها قرطبة .

(٣) الخلافة العبيدية الفاطمية بأفريقية ، ثم بمصر ، والشام ، والحجاز ،
واليمن ، وأصبحت قاعدتها القاهرة .

وظهرت بعد ذلك بالمغرب الأقصى دولة المرابطين أو (الملمثين) التي أسسها
يوسف بن تاشفين^(١) .

وقد زحف المرابطون على المغرب في عام ٤٤٧هـ تحت قيادة عبد الله بن
ياسين، وفي عام ٤٦٢هـ أسسوا مدينة (مراكش) واتخذوها مركزاً لدولتهم .

وأدى انحلال دولة بنى أمية في الأندلس ، وانشغال الحكام بالمنازعات فيما
بينهم إلى إتاحة الفرصة للأسبان للإيقاع بهم فشنوا عليهم الحرب التي أطلقوا عليها
تعبير حروب الإسترداد (Reconquista) ، فأضطر يوسف بن تاشفين للسير بجيشه
إلى الأندلس في عام ٤٧٩هـ ، حيث أوقع الهزيمة بجيوش الفونس السادس ملك
قشتالة في واقعة الزلاقة في يوم الجمعة ١٥ رجب ٤٧٩هـ ، وتكررت حملات
يوسف بن تاشفين لنجدة ملوك الطوائف بالأندلس - كما أطلق عليهم - وأضطر
أخيراً للضرب على أيدي هؤلاء الملوك وعزلهم ، وأسند إلى قائده ولاية الأندلس كما
أشرنا من قبل .

وبذلك أصبحت الإمبراطورية المغربية المرابطية تجمع بين المغربين الأقصى
والأوسط شرقاً وبلاد الأندلس شمالاً ، وتمتد إلى بلاد السودان والسنغال في غرب
أفريقيا .

وقد خلفت الدولة الموحدية - التي أسسها محمد بن تومرت - دولة المرابطين

(١) أطلق عليهم اسم المرابطين - لأنهم تتلمذوا على عبد الله بن بايسن في الرباط الذي
أنشأه في صحراء المغرب في جزيرة بالسنغال .

فى حكم المغرب - وقد فجح يعقوب المنصور الموحدى فى أن يؤقع الهزيمة بجيوش
المسيحيين بالآندلس فى معركة (الأرك) فى شمال قرطبة فى ٩ شعبان ٥٩١هـ /
يوليو ١١٩٥م وقد أعادت هذه الواقعة ذكرى موقعة الزلاقة المرابطية .

وقد كانت لأمير المؤمنين يعقوب المنصور - مواقع أخرى مع ملوك الأسبان
وأضطهرهم لطلب الصلح^(١) .

وقد كانت دولة الموحدين بالمغرب معاصرة للدولة الأيوبية فى مصر . وحين
ذاع حيث الموحدين أرسل صلاح الدين الأيوبي فى عام ٥٨٥هـ يطلب من يعقوب
المنصور مساعدته بالأسطول المغربى ضد الصليبيين الذين كانوا يحاصرون المسلمين فى
عكا .

ويقال إن يعقوب المنصور فكر فى الإستيلاء على مصر لستم له وحدة أفريقية
الشمالية من شرقها إلى غربها - إلا أن المنية عاجلته سنة ٥٩٥هـ فحالت دون تحقيق
مطامعه بعيدة المدى^(٢) .

ويرجع الفضل إلى يعقوب المنصور فى إتمام بناء مدينة (الرباط) عام ٥٩٣هـ ،
وجاء بها العظيم المعروف اليوم باسم (صومعة حسان)^(٣) .

ومن أثار يعقوب المنصور بمراكش قصبتها ، والجامع الأعظم ، ومنار الكتبية ،
وفى أسبانيا جامع اشبيلية وصومعه الجيرالدا الشاهقة التى تدل على عظمة الفن
المعمارى فى عهد الموحدين .

وأدى ضعف دولة الموحدين بعد يعقوب المنصور إلى تفتيت وحدة الشمال
الأفريقى ، وقيام دول إسلامية منفصلة فى أقطاره فقامت :

- الدولة الحفصية فى تونس .

١ (١) القرطاس - مرجع سابق ص ٢٢٨ .

٢ (٢) عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تاريخ المغرب (١٩٤٩) .

(٣) عاصر المؤلف دولة الموحدين ، وقد عالج كتابه تاريخ المغرب الكبير ، والمؤلف من

مواليد مراكش فى عام ٥٨١هـ) .

(٣) القرطاس - مرجع سابق ص ٢٢٩ .

- الدولة المرينية فى المغرب الأقصى .

- الدولة الزيانية فى المغرب الأوسط .

على أن هذا التفتت والانقسام فى المغرب العربى - شجع الدول الأوربية الاستعمارية الطامعة فى هذا البلاد لأن تعمل على بسط نفوذها عليها .

فقد تعرضت البلاد العربية الإسلامية فى شمال أفريقيا للأطماع الإستعمارية البرتغالية والأسبانية ، فاستولت البرتغال على شواطئ المغرب الأقصى ، بينما استولت أسبانيا على الشواطئ من الجزائر غرباً إلى طرابلس شرقاً - فكان الأمر يستلزم وجود دولة فنية تظاهرها قوة بحرية لمواجهة هذا الخطر المحدق ببلاد الإسلام فى الشمال الأفريقى ، والذي لم يكن أقل خطراً من الخطر الصليبي الذى تعرضت له بلاد المشرق العربى ومصر .

وكانت الدولة العثمانية قد غدت فى أوائل القرن السادس عشر - أعظم قوة فى الشرق الأدنى وفى الخوض الشرقى للبحر المتوسط - وكانت تمثل القوة الإسلامية الفتية خاصة بعد أن نجحت فى الإستيلاء على أملاك الدولة المملوكية فى الشام ، ومصر ، والحجاز ، واليمن فكان على هذه القوة الإسلامية أن تواجه هذا الخطر المحدق بالبلاد الإسلامية فى شمال أفريقيا ، ونجحت الدولة العثمانية فى أن تمد سلطانها إلى الجزائر وتونس وليبيا^(١) .

أما المغرب الأقصى فقد كان نفوذ السعديين قد بدأ فى بلاد درعة والسوس الأقصى فكان عليهم أن يواجهوا الأطماع البرتغالية ، والأسبانية - فى وقت كانت فيه الدولة الوطاسية التى تحكم المغرب - قد وصلت إلى درجة من الضعف بحيث أصبحت عاجزة عن رد الأعداء .

(١) للمعلومات التفصيلية عن الظروف التى مدت فيها الدولة العثمانية نفوذها إلى

الجزائر ، وتونس ، وليبيا يرجع إلى :

- عبد الرحمن محمد الجيلالى : تاريخ الجزائر العام ج٢ (الجزائر ١٩٥٥) .

- صلاح العقاد : الجزائر المعاصرة (١٩٦٤) .

- احسان حقى : تونس العربية (د . ت) .

- جلال يحيى : المغرب العربى الكبير ج٢ (القاهرة ١٩٦٦) .

- مجيد خدورى : ليبيا الحديثه (ترجمة نيقولا زيادة - بيروت ١٩٧٧)

- محمود الشنيطى : قضية ليبيا (القاهرة ١٩٥١) .

- وقد كانت معركة وادي المخازن بين الجيش المغربي ، والجيش البرتغالي ، وعلى رأسه الملك البرتغالي الشاب دون سبستيان (D. Sebastian) فى متم شهر جمادى الثانية ٩٨٦هـ (٤ اغسطس ١٥٧٨م) حاسمة ، فقد انتهت بهزيمة الجيش البرتغالي الغازى وفراره أمام الجيش المغربى المدافع عن بلاده ، ووجد البرتغال الجسور وقد قطعها الجيش المغربى المدافع فلم يبق أمامهم إلا الاستسلام أو الموت ، فكانوا بين مستسلم وغريق ، وكان من بين قتلى المعركة وغرقاهم سبستيان ، وابو عبد الله المتوكل الذى كان يطمع فى حكم المغرب لكن نجح عمه أبو مروان عبد الملك - المنتصر بالله - فى أن يتنزع منه الحكم فلجأ المتوكل إلى البرتغال وشجعهم على غزو المغرب فلقى مصرعه مع الملك دون سبستيان ملك البرتغال (١) .

وقد حدث أثناء معركة وادي المخازن أن توفى أبو مروان عبد الملك فتولى الأمر بعده أخوه أحمد الذى لُقّب بعد هذه المعركة باسم أحمد المنصور (٢) .

وقد ترتبت على المعركة نتائج هامة وحاسمة ، فقد ارتفعت سمعة المغرب ، وتغيرت نظرة الدول الأوربية لها ، أما البرتغال فقد فقدت ملكها ومعظم جيشها ، ولم يكن هناك وريث للعرش البرتغالي - فانتهاز فيليب الثانى ملك أسبانيا الفرصة - فضم البرتغال وممتلكاتها الأفريقية ومنها سبته ومليله إلى ممتلكاته . وبعد هذا الانتصار الحاسم - اتجه المنصور بأنظاره إلى بلاد السودان الواقعة جنوب المغرب فبعث إليهم جيشه فى فاتح محرم سنة ٩٩٩هـ بقيادة جؤدر باشا ، وقد بلغ هذا الجيش عشرين ألفاً بالإضافة إلى ألفين من البحرية والطبجية ، فيكون إثنين وعشرين ألفاً (٣) .

(١) عن تفاصيل معركة وادي المخازن يرجع إلى :

محمد الفاسى : معركة وادي المخازن الحاسمة (مجلة البحث العلمى التى يُصدرها المركز

الجامعى للبحث العلمى بالرباط - العدد التاسع ديسمبر ١٩٦٦) .

(٢) يطلق البعض على معركة وادي المخازن - معركة الملوك الثلاثة - فقد مات فيها

ثلاثة ملوك .

١ (٣) أحمد بن خالد السلاوى ، الناصرى : الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى (الدار

البيضاء ١٩٥٤ - ١٩٥٦) جده ص ١٢١ .

ملاحظة : حين عزم المنصور على غزو السودان - جمع مجلسه الاستشارى ، وحدث

نقاش حاد حول غزو هذه البلاد الإسلامية - لكن نجح المنصور فى إقناع المجتمعين بوجهة نظره .

وكتب المنصور إلى عمر بن محمود بن عمر قاضى تنبكتو يأمره بحض الناس على الطاعة^(١) .

وقد وصل الجيش إلى تنبكتو واستولى عليها وخرج إليهم اسحق سكية ، حاكم إمارة كاغو - لكن إنهزم السودان وولوا الإدبار ، وطلب اسحق الصلح على أن يدفع للمغرب ضريبة سنوية ، وأجابه القائد المغربى لذلك وعاد بالجيش المغربى إلى تنبكتو - لكن المنصور لما علم بأمر الصلح - أرسل قائداً آخر هو محمود باشا أخو جودر - بقوة جديدة ، ونجح الجيش المغربى فى إيقاع الهزيمة مرة أخرى بجيش إسحق سكية ، وقد احتفل المغرب بهذا النصر ، وهكذا أصبحت كلمة المنصور نافذة فى بلاد السودان (تيكوارين ، وبورنو ، وكاغو) بالإضافة إلى المغرب^(٢) .

هذا وكانت وفاة المنصور فى عام ١٠١٢هـ / ١٦٠٤م إيذاناً بانتهاء دور عظمة الدولة السعدية التى كانت فى الحقيقة دولة حربية - قامت للجهاد ضد الأطماع الأوربية فى الثغور المغربية .

فقد تنازع أفراد الأسرة السعدية بعد وفاته إلى أن هيات العناية الإلهية للشعب المغربى فى هذه الفترة الحرجة من تاريخه من يُنقذه ويأخذ بيديه - فقي سلجماسة كائن الدولة العلوية الشريفة فقد أخذت تعمل لتمسك بدقة الأمور لتسير سفينة المغرب فى فترة هامة من تاريخه .

* * *

(١) الفشتالى : منهل الصفاء فى مآثر موالينا الشرفا (تحقيق د . عبد الكريم كريم مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية والثقافية بالرباط) ص ١٣١ .

والفشتالى : هو وزير القلم والإعلام فى دولة المنصور ، وقد قام بتدوين أخبار الدولة السعدية منذ نشأتها من مطلع القرن السادس عشر ، وهذا الكتاب الذى نشرته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمغرب ملخص ، ويعتمد على النسخة المخطوطة المحفوظة بخزانة القصر للكى بالرباط تحت رقم ٢٧٤ .

(٢) مؤرخ مجهول : تاريخ الدولة السعدية ، الدرعيه التاكمادرتية (نشره جورج كلوران

الفصل الثالث

انتشار الإسلام فى بلاد النوبة

وسودان وادى النيل

أولاً : انتشار الإسلام فى بلاد النوبة :

بلاد النوبة قبيل إنتشار الإسلام بها :

دخلت المسيحية بلاد النوبة عن طريق مصر - وكما سنرى بعد - إنه عن طريق مصر انتشر الإسلام بالنوبة ، وكان عدد كبير من المصريين قد هاجر للجنوب (لبلاد النوبة) بسبب إضطهاد الرومان للمسيحيين المصريين ، ويرى بعض المؤرخين أن المسيحية دخلت من مصر إلى بلاد النوبة منذ القرن الأول للميلاد على يد مصريين - ممن اعتنقوا هذه الديانة من قبل ونزحوا لبلاد النوبة فى القرنين الأول والثانى هرباً من الإضطهاد الذى كان موجهاً إليهم لاسيما فى عهد تراجان ودقلديانوس .

فقد هرب المسيحيون المصريون إلى هذه المناطق الواقعة بين الشلالين الثانى والرابع حيث كانت قبضة الرومان ضعيفة ، وحيث تكثر الجزر فى النيل فيمكن للقدامين أن يجدوا بالإضافة إلى الأمان متسعاً للرزق ، وقد كُشف عن بقايا للكنائس والاديرة فى هذه المنطقة^(١) .

ولا شك فى أنه فى القرنين الثانى والثالث الميلاديين كان أفراد من النوبة قد اعتنقوا المسيحية ، على أن انتشار المسيحية فى النوبة السفلى على نطاق واسع كان فى نصف الأول من القرن السادس الميلادى فى عهد الملك سلكو (Silko) حين وقد سلى هذه البلاد القس اليعقوبى جوليان (Julian) ونَصَرَ الملك والأعيان وأدخلهم فى مسيحية على المذهب الارثوذكسى وبقي فى بلاد النوبة ما يقرب من عامين .

(١) . Budge , E . A . Wallis : The Egyptian Sudan , Its History and Monuments Vol .

2 (London 1901) P . 291 .

وفى عام ٥٦٥ وصل إلى بلاد النوبة أسقف آخر يدعى لونغينوس (Longinus) وبني كنيسة فى دنقله العجوز تابعة لكنيسة الإسكندرية ، وبقي هذا الأسقف فى منصبه ببلاد النوبة ست سنوات - وبذا أصبح بطريرك الإسكندرية بطريركاً لمصر ، والنوبة والخمس مدن الغربية^(١) .

هذا عن النوبة السفلى ، أما النوبة العليا التى عرفت باسم (مملكة علوة) والتى كانت تمتد من الشلال الرابع إلى النيل الأزرق - فقد دخلتها المسيحية عن طريق النوبة السفلى .

هكذا إنتشرت المسيحية فى بلاد النوبة ، وكان بطريرك الأقباط بالإسكندرية يرسل للنوبة المطارنة من مصر .

وقد زاد انتشار المسيحية ببلاد النوبة بسبب هجرة الأقباط من مصر لبلاد النوبة إثر الغزو الفارسى لمصر ، واضطهاد الملكانيين لأقباط مصر بعد ذلك - بعد إسترداد البيزنطيين لمصر^(٢) .

ويقول أبو صالح الأرمنى - إنه كانت فى مملكة علوة ربعمائة كنيسة ودير على جانبى النيل . وقد بُنى عدد من الكنائس فى مناطق التجمعات السكانية مثل ابريم ، ودنقلة ، وفرس ، وبوهين وغيرها من الأماكن - لكن بنى أغلبها بالطين لذا إندثرت .

كما حُولت بعض المقابر الفرعونية مثل معبد ايزيس فى جزيرة فيله إلى كنيسة . وكانت الصلوات والأدعية فى الكنائس والأديرة بالنوبة باللغة الإفريقية - لكن أخذت الكلمات القبطية تدخل العبادات فى النوبة خاصة بعد القرن السابع الميلادى حين ضعف إستخدام اللغة اليونانية فى مصر .

(١) زاهر رياض : كنيسة الاسكندرية فى أفريقيا (١٩٦٢) ص ٤١٦ ، والخمس مدن الغربية هى مستعمرات يونانية قامت فى شمال إفريقية فى اقليم برقة ، وسُميت بالخمس مدن الغربية تميزاً لها عن خمس مدن أخرى قامت على الساحل الشرقى للبحر المتوسط فى لبنان الحالية .

(٢) مصطفى محمد مسعد : الإسلام والنوبة فى العصور الوسطى (١٩٥٦) ص ٦٦ ، ٦٧ .

على أننا نشير إلى أن المسيحية فى النوبة لم تتخذ لها جذوراً عميقة فهى لم تُمثل إتجاهاً قومياً، كما أن الكنيسة المصرية ظلت تعامل الكنيسة النوبية كطفل صغير ، وكثيراً ما كانت الظروف فى مصر تؤدى إلى إمتناع البطارقة عن إرسال مبعوثين مصريين ، فتظل الوظائف الدينية خالية وهكذا وجدت فى النوبة مملكتان^(١) :

أ - مملكة النوبة السفلى (مقرة) وعاصمها دنقلة العجوز .

ب - مملكة النوبة العليا (علوة) وعاصمتها سوبة .

* * *

(١) نستقى معلوماتنا عن بلاد النوبة قبل الإسلام من مصدرين هامين :

- المسعودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر (توفى ٣٤٦هـ / ٩٥٨م) .

- عبد الله بن سليم الأسوانى : أخبار النوبة والمقره وعلوه ؛ والبجه والنيل .

انتشار الإسلام والثقافة العربية في بلاد النوبة :

لما دخل عمرو بن العاص مصر سنة ٢٠هـ - ٦٤١م - أرسل عبد الله بن سعد ابن أبي السرح لبلاد النوبة - فلم يقدر على فتحها لكنه عقد صلحاً مع ملكها .
وقد أرسل عمرو بن العاص بعد ذلك عتبة بن نافع أخى العاص لأمه للنوبة مرة أخرى^(١) .

وحين أصبح عبد الله بن سعد بن أبي السرح والياً لمصر سنة ٣١هـ أرسل أهل النوبة سراياهم إلى صعيد مصر فخربوا وأفسدوا فغزاهم عبد الله بن سعد سنة ٣١هـ وضرب دنقلة ورمى كينستها بالمنجنيق . فأضطر ملكها قليدور لطلب الصلح - وقد اشتهر هذا الصلح باسم (البقط) ، وهى كلمة فرعونية قديمة بمعنى عهد^(٢) .

ومعاهدة البقط هذه نظمت العلاقات بين مصر وبلاد النوبة ، وقد ظلت سارية لأكثر من تسعمائة سنة أى حتى قيام الدولة المملوكية فى مصر .

على أن الإسلام أخذ ينتشر تدريجياً فى بلاد النوبة بسبب :

(١) هجرة القبائل العربية إلى بلاد النوبة .

(٣) الأحداث السياسية فى بلاد العرب - فعندما إنتقلت الخلافة من بنى أمية إلى بنى العباس فر مروان الثانى - آخر خلفاء الأمويين لمصر مع عدد كبير من أنصاره . وانتهى الأمر بقتل مروان الثانى عند قرية بوضير - فأضطر أنصاره للتقدم جنوباً واستقر عدد كبير منهم ببلاد النوبة وكانوا من أسباب انتشار الإسلام بين سكان هذه البلاد .

(٤) ضعف سلطة ملوك النوبة فأصبحوا لا يستطيعون حماية رعاياهم ، وفى

^١ (١) البلاذرى : فتوح البلدان (ليدن ١٩٣٢) ص ٢٣٧ .

(٢) عن شروط هذا الصلح يرجع إلى :

المقرئى : المواعظ والإعتبار فى ذكر الخطط والآثار ج ١ ص ٣٢٣ .

- ومصطفى مسعد : الإسلام والنوبة (١٩٦٠) ص ١٠٨ .

عهد الدولة العباسية كانت فى أسوان قبائل كثيرة من العرب من قحطان ، وربيعة ، ومصر ، وقريش - وكانت لهم ضياع إشتروها فى بلاد النوبة .

ومن القبائل التى كانت فى المناطق الأفريقية الواقعة على ساحل البحر الأحمر - قبائل البجة ، وقد كانوا كثيرى الإغارة على تجار المسلمين وعلى العاملين فى المناجم فى صحراء مصر الشرقية - فأرسل الخليفة المأمون لهم جيشاً حاربهم وانتصر عليهم وعقد معهم صلحاً^(١) .

وقد كثر إخلال البجة بالصلح الذى عقده مع المسلمين حتى دخلوا فى الإسلام ولعل ذلك تم فى نهاية القرن السابع الميلادى .

وفى عهد الطولونيين والإخشيديين أرسلت أكثر من حملة لتأديب القبائل الموجودة فى الجنوب التى كانت كثيرة الإغارة على حدود مصر الجنوبية .

وحين جاء جوهر الصقلى قائد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى لمصر - أرسل بعثة إلى بلاد النوبة على رأسها أحمد بن سليم الأسوانى يدعو ملك النوبة للإسلام ، وقد رحب به ملك النوبة لكنه بقى على مسيحيته ، وقد ذكر ابن سليم الأسوانى أن المسلمين الذين هاجرو لبلاد النوبة واستقروا فى المنطقة من أسوان إلى الشلال الثالث لهم نفوذهم واحترامهم فى هذه البلاد وأنه حضر احتفالهم بعيد الأضحى فقد ألفوا بهذه المناسبة موكباً دينياً طاف بالمدينة مع قرع الطبول ، وأصوات الأبواق^(٢) .

وأشار المقرئى أيضاً إلى أنه فى عهد الإيويين أرسل صلاح الدين أخاه توران شاه سنة ١٨٧٣م على رأس حملة لإخضاع قبائل الكنوز الذين كانوا قد إستقروا فى أسوان وكونوا شبة إمارة بها وكانت لهم علاقات مع النوبة وذلك لأنهم ظلوا على ولائهم للفاطميين^(٣) .

وقد استمرت الهجرات العربية لبلاد النوبة سواء من مصر أو من شبه الجزيرة .

(١) عن هذا الصلح انظر :

ابن عبد الحكم : فتوح مصر (القاهرة ١٩٤٥) .

(٢) المقرئى : الخطط ج١ ص ١٩٨ .

(٣) نفس المرجع السابق ص ١٩٩ .

العربية بشكل منتظم وكانت هذه الهجرات تتم بطريقة لا تُثير أى اضطراب فى هذه المنطقة ، فلم يجد ملوك النوبة سبباً لمنع هذه الهجرات ، وبالطبع كانت النتيجة الطبيعية هى انتشار تيار الهجرة وبالتالي انتشار الإسلام فى هذه البلاد^(١) .

وفى العهد المملوكى تعددت الحملات التى أرسلت لبلاد النوبة - خاصة بعد أن حاول ملوك النوبة التأثير على التجارة المملوكية بتعرضهم للتجارة المارة بالصحراء الشرقية عن طريق ميناء عذاب ، وكان أحد أفراد البيت المالك النوبى ويسمى شكندة قد لجأ لمصر فأرسل معه السلطان الظاهر بيبرس جيشاً نجح فى هزيمة النوبيين وفر ملكهم داود ، ونُصب شكندة محله وعقد اتفاقاً مع المسلمين تعهد فيه بدفع نصف خراج بلاده ، وأن يدفع ديناراً ذهباً عن كل ذكر بالغ من أهل بلاده ، وقد وصلت أخبار الحملة العربية إلى مملكة علوه جنوباً فأثارت الرعب لدرجة أن ملك علوه حين لجأ إليه الملك داود يطلب نصرة قبض عليه وأرسله إلى بيبرس حيث أُعتقل فى القلعة إلى أن مات^(٢) .

وهكذا أصبحت (مملكة مقره) المسيحية جزءاً من السلطنة المملوكية يدفعون الجزية للسلطان المملوكى ، ولهذا أنشأ بيبرس فى مصر ديواناً سماه (ديوان النوبة) للإشراف على جمع الجزية والخراج الخاصة بالنوبة .

وقد توالى الحملات المملوكية على بلاد النوبة كلما حاول ملوكها نقض الاتفاق المعقود منع السلطان بيبرس .

وقد أخذت جموع من عرب جهينة وغيرهم من القبائل العربية تهاجر من مصر لبلاد النوبة وأدى هذا إلى انتشار الإسلام وانتشار المساجد بهذه البلاد .

ولم يقتصر الأمر على مملكة مقره فقد اندفعت القبائل العربية جنوباً من مصر ومن شبه الجزيرة العربية .

ومن أشهر هذه القبائل التى جاءت من شبه الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر

(١) . 617 P . (1949) Trimingham , S . : Islam in The Sudan

(٢) أشار لشروط هذا الاتفاق :

المقرزى : الخطط ج ١ ص ٣٢٦

إلى بلاد النوبة - قبيلة الكواهلة التى تُنسب إلى (كاهل بن أسد بن خزيمه) - وقد بنى المسلمون المهاجرون مسجداً فى (سوبا) عاصمة مملكة علوه .
وقد قوى نفوذ القبائل العربية المهاجرة حتى استطاعت فى مستهل القرن السادس عشر بالتحالف مع الفونج القادمين من الجنوب أن تقضى نهائياً على مملكة علوه .

ويمكن أن نجمل العوامل التى شجعت العرب للهجرة لبلاد النوبة والتى أدت لسقوط ممالك النوبة المسيحية فيما يلى :

- (١) الظروف السياسية فى مصر وفى الدولة الإسلامية عامة - شجعت على مزيد من الهجرة للجنوب .
- (٢) منذ أن حكم مصر ولاية غير عرب منذ الدولة الطولونية - فضل كثير من العرب الهجرة للجنوب .
- (٣) البحر الأحمر لم يكن فاصلاً يمنع هجرة عرب الجزيرة للمناطق الأفريقية المطلة على البحر الأحمر .
- (٤) حملات سلاطين مصر المتتالية على بلاد النوبة .
- (٥) ضعف ملوك النوبة، وضعف الترابط بين مملكتى النوبة العليا والسفلى .
- (٦) ما أصاب بلاد النوبة من تدهور إقتصادى نتيجة الحروب المستمرة .

ثانياً : انتشار الإسلام فى السودان وادى النيل وتكوين سلطات إسلامية به :

هاجرت إلى بلاد النوبة - كما رأينا - عناصر عربية وانتهى الأمر بإسلام بلاد النوبة السفلى المجاورة لمصر - - وبلاد النوبة العليا الواقعة جنوبيها واندفعت العناصر العربية جنوباً على جانبى النيل .
ولم يكن هذا هو المصدر الوحيد الذى أمد بلاد السودان وادى النيل بالعناصر العربية الإسلامية فعن طريق البحر الأحمر وفدت من شبه الجزيرة العربية أيضاً قبائل عربية للسودان .

ويرى (ماك مايكل) إن مصر غدت السودان بقبائل عربية أكثر ما وصله عن طريق الشرق عبر البحر الأحمر - فهو يرى أن هناك أسباباً دفعت بالعرب للهجرة .

بأعداد غفيرة من مصر إلى الجنوب - فى مقدمتها إنه عندما انتقل الحكم فى مصر من أيدي ولاية عرب إلى أسرات تركية غير عربية - شعر العرب بمصر بضيق فهاجروا للجنوب^(١) ، كما أن العرب جاءوا من بيئة رعوية وأنهم وجدوا فى الجنوب ما يلائم أكثر بيئتهم الرعوية الأصلية^(١) .

ويعارض بعض المؤرخين هذا رأى ، على أن المهم أن العرب وفدوا للسودان من جهات متعددة .

وأهم القبائل العربية النى وفدت للسودان^(٢) :

(١) ربيعة : نزلوا فى البداية فى الصحراء الشرقية واتبعوا وادى العلاقى إلى جوار النهر واندفعوا جنوباً بعد ذلك .

(٢) الجعليون : نزلوا على النيل من دنقلة حتى جنوب الخرطوم الحالية واتجه بعضهم غرباً نحو كردفان ، وقد كان لهم أثر واضح فى نشر الثقافة العربية فى السودان^(٣) .

(٣) جهينة : قبائل قحطانية ، وفدت إلى مصر ثم هاجرت بعد ذلك إلى السودان وانتشرت على جانبى النيل الأزرق .

(٤) الكواهلة : سكنوا المنطقة الممتدة من سواكن إلى عيذاب وانتقلوا بعد ذلك غرباً .

(٥) الفونج : قيل إنهم عرب أمويون وهم الذين أسسوا سلطنة الفونج بالسودان .

(١) Mac, Michael : A History of The Arabs in The Sudan (Cambridg

. 1922) .

(٢) للتفاصيل يرجع إلى : محمد عوض محمد : السودان الشمالى سكانه وقبائله (١٩٥١) .

(٣) محمد ضيف الله بن محمد الجعلى (ود . ضيف الله) : الطبقات فى خصوص لاولياء الصالحين والعلماء والسفراء فى السودان (١٩٣٠) .

(٦) العابدلاب : يرجع نسبهم إلى عبد الله الجماع ، وقد تركزوا في حلفاية (الخرطوم بحرى) .

(٧) الهمج : وزراء الفونج ، وبعد فتح معجمد على السودان رحلوا إلى جبال الفونج .

(٨) التعايشة : انتشروا في غرب السودان ، ووصلوا إلى قرب حدود بحر الغزال ومنهم الخليفة عبد الله التعايشي .

وقبل إمتداد التنظيمات المصرية للسودان في عهد محمد علي كانت جماعات من هذه القبائل قد لمجت في أن تكون لها السلطة والسيادة في مناطق معينة مما أدى لقيام دويلات وممالك وسلطنات إسلامية لها نظمها وتقاليدها ومن أهمها :

(أ) سلطنة الفونج في سنار .

(ب) سلطنة الفور في دارفور .

(ج) سلطنة تقلى في جبال النوبة ووديانها بجنوب كردفان .

ويلاحظ أن العرب توغلوا في السودان صوب الجنوب لكن لم يستطيعوا بسبب قسوة المناخ ، وقسوة مظاهر السطح بالإضافة لضراوة مقاومة العناصر الزنجية - التوغل إلى أقصى جنوب السودان .

وسنلقى بعض الضوء على بعض هذه الممالك والسلطنات الإسلامية في السودان التي وجدت قبل التنظيم المصري في عام ١٨٢٠ م .

١ - سلطنة الفونج (سنار) :

مد الفونج سلطانهم من الجندل الثالث شمالاً حتى فارو على جنوباً ، كما خضعت لهم الأقاليم الشرقية حتى ساحل البحر الأحمر ، وامتد سلطانهم في الغرب حتى إقليم كردفان .

وقد تحدث بعض الرحالة عن التنظيمات الإجتماعية التي وجدت في بعض

الحواضر التابعة لهم مثل بربر ، وشندى ، وذكروا إنه وجدت بيوت مالكة فى بعض هذه الحواضر كبيت الملك نمر فى شندى^(١) .

وقد ذكر بعض المؤرخين أن الفونج الذين استقروا فى هذه الجهات وكونوا أسرة حاكمة بها يرجع أصلهم إلى بعض القبائل العربية التى هاجرت إلى شرق أفريقيا فى القرون الثلاثة التالية لظهور الإسلام ، وتحركت إلى قرب طوكر الحالية ثم دخلت أرض الجزيرة وانتشروا فى المناطق الممتدة من الجندل الثالث إلى فازوغلى^(٢) .

والفونج أنفسهم يدعون أنهم من نسل الأمويين وأن استقرارهم فى مناطقهم بالسودان يرجع لعام ١٣٢هـ حين هرب مروان الثانى آخر خلفاء الأمويين لمصر .

وقد اتخذ الفونج مدينة (سنار) عاصمة لهم ، ويختار الفونج (سلطانهم) من بين رجال السلطان السابق ، ذلك بواسطة مجلس من كبار رجال الدولة - وتقام مراسيم لتتويجه .

وللسلطان وزير يُلقب بسيد القوم ، كما أن لرجال الدين الإسلامى وأصحاب الطرق 'صوفية مكانة خاصة فى مجتمعهم ، ويتبع سلطنة الفونج عدة مشيخات منها مشيخة العابدلاب ، خشم البحر ، وبنى عامر ، والحلانقة ، والشنابلة ، والجعليون ، والميرقاب ، والرباطاب ، والمناصير ، والشايقية^(٣) .

وقد استمرت سلطنة الفونج حتى دخول الحملة التى أرسلها محمد على 'السودان حين تنازل (بادى) آخر سلاطينهم عن ملكه واعترف بتبعية منطقتهم للسلطان العثمانى وسلم إدارة البلاد لوالى مصر .

(١) بوركهارت ، جون لويس : رحلات بوركهارت فى بلاد العرب والسودان . ترجمة فؤاد اندراوس ١٩٥٩ (نشرته الجمعية التاريخية المصرية) .

(٢) الشاطر بوصيلى عبد الجليل - معالم تاريخ السودان وادى النيل (١٩٥٥) ص ٢٣ .

(٣) للمزيد من التفاصيل يرجع إلى :

أحمد بن الحاج أبو على (كاتب الشونة) : تاريخ مدينة سنار (مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٨) .

٢ - سلطنة الفور (فى دارفور) :

ترجع هذه السلطنة إلى العرب الذين وفدوا للسودان الغربى من مراكش ، وتونس ، ومصر ونشروا نفوذهم على القبائل بغرب السودان .

ويرجع د . حسن أحمد محمود أن القبائل التى كونت هذه السلطنة - إندفعت إلى دارفور فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر من المغرب عبر المسالك الصحراوية التى تنحدر من طرابلس نحو الجنوب ، وأهم هجرة - من وجهة نظره - كانت نتيجة ضغط قبائل العرب الهلالية - وأن هذه القبائل المهاجرة لم تُصبح لها مهابتها وقوتها إلا بعد أن اعتنقت الإسلام وصبغت المنطقة إلى يسكنونها بالصيغة الإسلامية الواضحة ، وقد تم ذلك فى عهد السلطان سليمان سولان^(١) .

وقد زار هذه السلطنة - الرحالة محمد بن السيد عمر التونسى وتحدث عن نظام حكمهم وتقاليدهم^(٢) ، فالسلطان - صاحب السلطة العليا ، وكانت السلطنة مقسمة إلى أربعة وعشرين قسماً ، على كل قسم رئيس يُعرف (بالملك) له حاشية ، والسلطان يوزع الأرض على المكوك لزراعتها مقابل الجزية السنوية .

ويعاون السلطان الوزير ، وهناك مجلس للسلطان .

وهم يعملون بزراعة الخضراوات والقمح ، والذرة والسمسم .

ولهم تجارة واسعة مع مصر . ومنذ أيام السلطان عبد الرحمن (١٧٨٥ - ١٨٠٢) أصبحت الفاشر عاصمة لهم .

ودخلت سلطنة الفور فى ظل الإدارة المصرية فى عهد الخديوى اسماعيل .

٣ - سلطنة تقلى :

تقع غرب النيل الأبيض جنوب كردفان - فى منطقة جبلية لكن تتخللها وديان

(١) حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية - مرجع سابق ص ٣٢٤ .

(٢) محمد بن عمر التونسى : تشييد الاذهان بسيره بلاد العرب والسودان (نشرة

الاستاذان خليل عساكر ، ومصطفى مسعد) .

خَصْبَة وَكَانَ يَسْكُنُهَا الزُّنُوجُ ، لَكِنْ اخْتَلَطَتْ بِهِمْ قِبَائِلُ عَرَبِيَّة - فَانْتَشَرَ الْإِسْلَامُ بَيْنَهُمْ ، وَمِنْ أَشْهُرِ سُلَاطِينِهِمُ الْمُسْلِمِينَ (أَبُو جَرِيدَهُ) .

وَقَدْ بَنَى مَسْجِداً فِي سُلْطَنَتِهِ وَشَجَعَ الْقِبَائِلَ الْعَرَبِيَّةَ عَلَى الْهَجْرَةِ لِبِلَادِهِ وَالْإِسْتِقْرَارَ بِهَا .

وَكَانَ لِسُلْطَنَةِ تَقْلَى عِلَاقَاتُ وَارْتِبَاطَاتٌ مَعَ سُلَاطِينِ الْفُورِ الَّذِينَ كَانُوا يَسَاهِمُونَ فِي إِقَامَةِ الْمَسَاجِدِ وَعِمَارَتِهَا بِسُلْطَنَةِ تَقْلَى .

وَسُلْطَانُ تَقْلَى يَتِمَتَّعُ فِي مَنَاطِقِهِ بِنَفُوذٍ مُطْلَقٍ لَكِنْ يِعَاوَنُهُ الْوَزِيرُ ، وَالْقَاضِي الْمُسْتَوَلُ عَنْ شُؤْنِ الشَّرِيعَةِ ، وَكَانَ يَتَّبِعُ السُّلْطَنَةُ عِدَّةٌ مِنَ الْمُلُوكِ .

وَعَاصِمَةُ سُلْطَنَةِ تَقْلَى هِيَ مَدِينَةُ (كُومِيَّة) وَلَمْ تَخْضَعِ سُلْطَنَةُ تَقْلَى تَمَاماً لِلْإِدَارَةِ الْمِصْرِيَّةِ إِلَّا بَعْدَ إِسْتِرْدَادِ السُّودَانِ مِنْ حُكْمِ التَّعَايِشِيِّ .

* * *

السودان تحت الإدارة المصرية :

أرسل محمد علي باشا فى عام ١٨٢٠ حملة للسودان على رأسها اسماعيل بن محمد على ، ومحمد بك الدفتدار صهر محمد على ، ونجحت الحملة فى فتح سنار وكردفان^(١) .

وبعد هذه الحملة وضع نظام إدارى لحكم الجهات إلى خضعت للإدارة المصرية فجعل على رأس الإدارة حاكم عام (حكمدار) ، وقسم السودان إلى مديريات يخضع لكل منها عدد من النظار .

وقد حاول محمد على تكوين جيش كامل من السوادانيين - لكن ثبت عدم نجاح هذه المحاولة ولذلك لجأ إلى تجنيد المصريين .

ومن أهم ما تم فى هذه الفترة هو إنشاء وتعمير (الخرطوم) التى كانت مجرد قرية للصيادين لا يوجد بها الا عدد من مساكن الأهالى من القش (تكلات) فتحولت إلى مدينة عامرة وأصبحت عاصمة للسودان .

وقد زار محمد على السودان فى سنة ١٨٣٨ ليشاهد الأحوال بنفسه ، ومن أهم ما تحقق فى أثناء زيارته الترتيب لرحلات البكباشى (محمد سليم قبطان) الضابط المصرى للكشف عن منابع النيل العليا ، وقد قام بها فى الفترة من ١٨٣٩ إلى ١٨٤٢ وفتحت الباب للكشف عن المنابع الإستوائية للنهر .

وفى عام ١٨٥٧ زار سعيد باشا - الذى تولى حكم مصر (١٨٥٤ - ١٨٦٣) - السودان وأصدر عدة أوامر وتعليمات وهو فى الخرطوم لتطويع الإدارة وغيرها من شئون السودان عُرِفَت باسم (مراسم الخرطوم) .

ولا شك فى أنه فى ظل الإدارة المصرية فى هذه الفترة إستتب الأمن فى ربوع المناطق التى خضعت للإدارة المصرية وزادت هجرة القبائل العربية للسودان واستقرارها فيه خاصة بعد أن نشطت الحركة الإقتصادية من زراعة وتجارة .

(١) عن خط سير الحملة وتفاصيل عملية الفتح يرجع إلى :
شوقى الجمل : تاريخ سودان وادى النيل وعلاقاته بعصر ج. ٢ (١٩٦٩)

وفى عهد اسماعيل (١٨٦٣ - ١٨٧٩) امتدت الإدارة المصرية إلى مناطق جديدة - فقد ضم بحر الغزال ودارفور للإدارة المصرية .

ويرجع الفضل فى تحقيق هذا إلى جهود الزبير رَحْمَتُ الذى فتح هذه الجهات ووضعها تحت تصرف الإدارة المصرية .

كما تم فى عصر اسماعيل ضم سواكن ومصوع للإدارة المصرية ، كما إمتدت الإدارة المصرية إلى بربرة ، وزيلع ، وتم فتح هرر^(١) .

وفى عام ١٨٧٥م أرسلت حملة بحرية مصرية لبعض مناطق شرق أفريقية (رأس حافون ، براوة ، وقسمايو) كان الهدف منها الاستيلاء على هذه المناطق بهدف اتخاذ نقط على الساحل الأفريقى تُمهّد منها طُرُق للداخل باعتبار أن هذا أيسر وسيلة للإتصال بالأقاليم الداخلية - لكن اعترضت إنجلترا على هذه الحملة وعقدت معاهدة مع مصر فى عام ١٨٧٧م اعترفت فيها إنجلترا بسيادة مصر على الأقاليم الواقعة على ساحل البحر الأحمر والساحل الأفريقى حتى رأس حافون على أن تسحب مصر حامياتها من المناطق الواقعة جنوب ذلك^(٢) .

كذلك كلفت الحكومة المصرية صموئيل بيكر ومن بعده غوردون بإنشاء ما أُطلق عليه اسم (مديرية خط الاستواء) وساهمت هذه الجهود فى الوصول إلى المنابع الاستوائية للنيل .

وهكذا نجحت الإدارة المصرية فى مد سلطانها إلى حدود السودان الطبيعية شرقاً وغرباً وجنوباً .

(١) لمعرفة تفاصيل ضم أقليم بحر الغزال ، ودارفور للإدارة المصرية - يرجع إلى :
نعوم شقير : تاريخ السودان الحديث . وجغرافيته جـ ٣ (١٩٠٣) ص ٦٠ وما بعدها ، وكذلك :
Budge : Op . cit . vol . 2 . 232 .

(٢) عن تفاصيل هذه الحملات والإجراءات يرجع إلى :
شوقى الجمل : سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر
(١٩٧٣)

الحركة المهدية بالسودان :

لم يستقر الأمر للإدارة المصرية فى السودان ، فمنذ عام ١٨٨٠م بدأت حركة دينية ضد الحكم المصرى العثمانى بالسودان - وتطورت الحركة .

ولم تنجح الجهود التى بذلتها الحكومة المصرية لإخمادها ، فقد سقطت الأبيض فى ١٩ يناير ١٨٨٣م فى يد قوات المهدي .

ونجحت قوات المهدي فى هزيمة القوات التى أرسلتها الحكومة المصرية بناءً على نصيحة من الحكومة البريطانية بقيادة الجنرال هكس باشا (Hicks) ، وهو ضابط انجليزى كان قد قدم من الهند . فأبديت معظم القوة التى كان يبلغ عددها حوالى ١٠.٠٠٠ رجل فى معركة (شيكان) ، وانتشرت الثورة بعد ذلك فى السودان الشرقى ، كما فشلت حملة أرسلت برئاسة الجنرال فالتين بيكر الذى كان رئيساً للبوليس المصرى^(١) .

ولما وصلت الأحوال فى السودان إلى هذا الحد أرسل غوردون (Gordon) لسحب الجنود المصريين ، والموظفين من السودان - لكن انتهت مهمة غوردون بقتله فى ٢٦ يناير ١٨٨٥ وسقوط الخرطوم فى أيدي أتباع المهدي^(٢) .

وقد تبع سقوط الخرطوم قيام حكومة مهدية فى السودان إتخذت (ام درمان) عاصمة لها فقد كانت الخرطوم قد خربت .

وقد كان التقشف والزهد محور المجتمع الذى نادى به المهدي ، واعتقد أن هذا هو العلاج الناجح لمختلف المشكلات والحالة التى تردى إليها العالم الإسلامى - لكن مع ذلك فقد كان لابد أن يكون للدولة نظام إدارى .

(١) لتفاصيل هذه المعارك يرجع :

Wingate , Major , F . R . : Mahdism and The Egyptian Sudan .

(London 1891) .

- Slatin , R. : Fer et Feu au Soudan (Traduit de L'Edition Alemande par G . Bettex - Le Caire 1899) .

(٢) عن مهمة غوردون يرجع إلى :

شوقى الجمل : تاريخ سوزان وادى النيل وعلاقاته بمصر ج٣ (١٩٨٠) .

فقد عين المهدي أربع خلفاء على غرار الخلفاء الراشدين - وكان هؤلاء الخلفاء هم عبد الله التعايشي ، وعلى ودحلو ، والمكان الثالث خُصص للسيد محمد المهدي السنوسي وقد رفض أن يشغله والرابع هو الخليفة محمد الشريف^(١) .

وقد توفي محمد أحمد المهدي في ٢٢ يولية ١٨٨٥م - لذا كان على خليفته عبد الله التعايشي أن يسوس أمور الدولة ويضع نظاماً إدارياً لها .

وقد استعان الخليفة عبد الله في تصريف شئون الدولة بأخيه (يعقوب) الذي كان عالماً بالقراءة والكتابة ويحفظ القرآن - فأصبح له من المركز ما كان للخليفة نفسه في عهد المهدي .

وقد ظل الخليفة التعايشي يُدير شئون السودان حوالى ١٣ عاماً إلى أن قررت إنجلترا إرسال حملات مصرية لاسترداد السودان تحت قيادة سردار الجيش المصرى السير هربرت كتشنر (H. Kitchener) .

وقد نجحت هذه الحملات في استرداد دنقله في مارس ١٨٨٦ وتتابع الانتصارات فسقطت بربر في يد قوات كتشنر في ٦ سبتمبر ١٨٩٧م ، وفي ٨ أبريل ١٨٩٨ حدثت معركة العطبرة و دحر فيها جيش الدراويش .

وفي ٢ سبتمبر ١٨٩٨م وقعت معركة أم درمان وهُزم جيش الخليفة وقتل أكثر من إحدى عشر ألفاً من رجاله - وبعد دخول كتشنر أم درمان قام بعمل يتنافى مع كل مبادئ الإنسانية فقد أمر بإخراج جثمان المهدي من ضريحه وأمر بإرسال رأس المهدي إلى بارنج بالقاهرة - لكن أُعيدت الجُمجمة حيث دُفنت سرّاً في مقبرة في وادى حلفا .

وقد منح كتشنر لقب (لورد الخرطوم Lord Kitchener of Khartoum) وقد

(١) أبو سليم ، محمد إبراهيم : الحركة الفكرية في المهديّة (١٩٧٠) ص ٥٣ وما

بعدها .

للدكتور أبو سليم عدد من الكتب عن ملكية الأرض في المهديّة ، والخلافة في المهديّة .
-وعن الادارة المهديّة في السودان يرجع إلى :

Holt , P . M . : The Mahdist State in The Sudan 1881 - 1899 (Oxford 1988) .

رفع كتشنر العلمين المصرى والبريطانى على سراى الحكومة المخربة بالخرطوم وفقاً لتعليمات تلقاها من كرومر^(١) .

وتابع كتشنر السير فى النيل الأبيض إلى فاشوده حيث كانت قد وصلت قوة فرنسية بقيادة مارشان (Marchand) ، وقبل مارشان بعد مناقشات مع كتشنر - رفع العلم المصرى على بعد ٧٠٠ ياردة من العلم الفرنسى - وأضطرت فرنسا لأن ترسل الأوامر لرجالها بالانسحاب من فاشوده .

وبعد معركة أم درمان هرب الخليفة فى اتجاه الأبيض - وانتهى الأمر بارسال حملة بقيادة الكولونيل (ونجيت) لتعقب قوات الخليفة وحلفائه ، ونجحت الحملة فى قتل الخليفة عبد الله التعايشى ، وعلى ودحلو ، والأمير أحمد فضيل ، والضديق ابن المهدي ، وهارون محمد شقيق الخليفة فى معركة (ام ديكرات) على بعد سبعة أميال جنوب شرق أبار جديد^(٢) .

اتفاقية الحكم الثنائى ونظام الحكم بالسودان (١٩ يناير ١٨٩٩م) :

بعد استرداد السودان وضع كرومر ورجاله المختصون مشروع الإتفاق الذى عرف باسم (اتفاقية الحكم الثنائى) والذى وقع فى ١٩ يناير ١٨٩٩م - وقعه عن الحكومة المصرية وزير خارجيتها بطرس غالى وعن الحكومة البريطانية اللورد كرومر - لتحديد نظام الإدارة الجديدة للسودان .

والإتفاق من مقدمة وإثنى عشر مادة^(٣) .

(١) لتفاصيل المعارك يرجع إلى :

- Churchill , W . : The River War , An account of The Reconquest of the Sudan (London 1933) .

- Alford and Sword : The Egyptian Sudan , Its Loss and Recovery (1898) .

(٢) يرجع إلى تقرير (Wingate) عن المعركة .

(٣) عن هذه الاتفاقية ونقدها يرجع إلى :

شوقى الجمل : السودان وادى النيل وعلاقاته بمصر - مرجع سابق ج ٣ الفصل السابع .

وقد وضعت السلطات التنفيذية والتشريعية ، والقضائية فى يد (حاكم عام للسودان) أشترط أن يعينه الخديوى بعد أخذ رأى الحكومة البريطانية ، وأن يُرفع العلمان البريطانى والمصرى فى جميع أنحاء السودان ، وألا تسرى القوانين المصرية على السودان والأ تسرى سلطة المحاكم المختلطة على السودان .

وقد كان هذا الاتفاق العجيب والنظام الغريب الذى وضع السلطة كلها فى يد إنجلترا - فلم يكن اشتراك مصر فى الادارة والحكم الإصرى - موضع نقد وإعتراض من المصريين - فقد اعترض عليه الحزب الوطنى وزعيمه مصطفى كمال - كما نقدته بشدة الصحف الفرنسية^(١) .

وظل معمولاً بهذه الاتفاقية حتى عام ١٩٢٤ حين انفردت إنجلترا بإدارة السودان رسمياً - بعد مقتل سردار الجيش السيرلى ستاك فى القاهرة فى ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ - فأمرت إنجلترا بإانسحاب الجيش المصرى والوطنيين المصريين من السودان وانفردت إنجلترا بالإدارة واستمر ذلك الوضع كذلك حتى عقدت معاهدة ١٩٣٦م بين مصر وإنجلترا فتقرر العودة للعمل باتفاقية ١٨٩٩م ، فأعيدت وحدات من الجيش المصرى إلى السودان وأعيد بعض الموظفين المصريين .

الحركة الوطنية السودانية :

شعر السودانيون بالغبن الواقع عليهم نتيجة الإدارة البريطانية لبلادهم .

وقد تمثل رد فعل السودانيون فى المنشورات السرية التى انتشرت على نطاق واسع فى مختلف أنحاء السودان، ثم تطور الأمر فاتخذ شكل جمعيات أدبية (كجمعية الاتحاد السودانى) و (جمعية اللواء الأبيض)^(٢) .

(١) لم يعين طوال مدة سريان العمل بالاتفاق مصرى واحد حاكماً عاماً للسودان .

(٢) سليمان كشة : اللواء الأبيض (الخرطوم ١٩٦٩) - ولتفاصيل الأحداث يرجع

إلى :

- حلمى جرجس غبريال : موقف الإدارة فى السودان من الحركة الوطنية خلال الحزبين

العالميتين (رسالة دكتوراة غير منشورة - جامعة القاهرة - ١٩٧٦) .

- عبد الكريم السيد : اللواء الأبيض ، وثورة ١٩٢٤ (الخرطوم ١٩٧٠) .

وقد تعددت المظاهرات والإصطدام بين الوطنيين السودانيين والسلطات الحاكمة - ومن هذه المظاهرات مظاهرة طلبة المدرسة الحربية بالخرطوم في اغسطس ١٩٢٤م ، ومظاهرة فرقة السكك الحديدية يعطبره في ٩ اغسطس ١٩٢٤م ، ومن الشخصيات الوطنية التي برزت في هذا المجال شخصية على عبد اللطيف الضابط السوداني .

وقد لجأت السلطات البريطانية لقمع هذه الحركة التي وصلت في عام ١٩٢٤م لثورة عنيفة ، واعتقلت السلطات الشخصيات السودانية البارزة - وعمدت هذه السلطات البريطانية لإلغاء الوجود العربي في السودان - إذ اتهمت المصريين بالسودان بالتحريض على هذه الانتفاضات - ووجدت بريطانيا فرصة سانحة لتحقيق مآربها في مقتل السير لى ستاك - كما ذكرنا .

اتفاق الحكم الذاتي وتقرير المصير للسودان :

ظلت المفاوضات بين مصر وبريطانيا مستمرة بخصوص جلاء الجيوش البريطانية نهائياً عن مصر ، وقضية السودان منذ تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢م الذي اعترفت فيه إنجلترا باستقلال مصر مع تحفظات أربعة - منها الوضع في السودان . وكانت المفاوضات عادة تتحطم أمام صخرة السودان لإصرار إنجلترا على أن تبقى على وضعها فيه^(١) .

وقد عرضت مصر في عام ١٩٤٧م قضية السودان على مجلس الأمن ، فقد تقدمت بعريضة إلى المجلس مؤرخة ٨ يونية ١٩٤٧م ذكرت فيها إن احتلال القوات البريطانية غير المشروع لمصر سنة ١٨٨٢م ، واحتلال الجزء الجنوبي من وادي النيل أي السودان بعد ذلك - مكّن حكومة المملكة المتحدة منذ سنة ١٨٩٩م من أن تفرض على مصر اشتراكها معها في إدارة السودان^(٢) .

(١) عن المفاوضات بين مصر وبريطانيا يُرجع إلى :

محمد شفيق غريال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية (القاهرة ١٩٥٢) .

(٢) يُرجع إلى : بيانات حضرة صاحب الدولة محمد فهمي النقراشي باشا رئيس

مجلس الوزراء ورئيس وفد مصر أمام مجلس الأمن . - مطبوعات رئاسة مجلس الوزراء المصري (اغسطس ١٩٤٧) .

وإن إنجلترا إنتهزت وجودها فى السودان لبذر بذور التفرقة بين المصريين والسودانيين ، وعرض النقراش باشا رئيس وزراء مصر القضية أمام مجلس الأمن - لكن المجلس لم يصدر حكماً ينصف مصر وينهى مشكلة الوجود البريطانى فى السودان .

ولما قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م فى مصر - رأت الثورة أن تحل قضية السودان قبل حل قضية الجلاء - واتجهت حكومة الثورة فى مصر اتجاهاً جديداً فقد رأت حكومة الثورة أن بريطانيا تستر خلف حق السودانين فى تقرير مصيرهم بأنفسهم لتجد من ذلك حجة لإستمرار سيطرتها على دفة الحكم والإدارة فى السودان وتشويه صورة المصريين فى أعين السودانيين - لذلك قدمت حكومة الثورة فى مصر فى نوفمبر ١٩٥٢م للحكومة البريطانية مذكرة توضح فيها إيمان مصر بحق السودانين فى تقرير مصيرهم وأن مصر ترى تمكين السودانيين من إختيار نوع الحكم الذى يروونه .

ولم تجد إنجلترا بدءاً من الدخول فى مقاضات مع مصر بشأن السودان - وترتب على ذلك توقيع الحكومتين المصرية والبريطانية فى ١٢ فبراير ١٩٥٣م على اتفاق بشأن الحكم الذاتى وتقرير المصير للسودان^(١) .

وانتهت الاجراءات التى اتُخذت لتحقيق هذا الاتفاق إلى إصدار مجلس النواب السودانى قراراً فى ١٩ ديسمبر ١٩٥٥م يقضى باستقلال السودان وقيام الجمهورية السودانية ، وأنتُخبت جمعية تأسيسية لتضع الدستور النهائى للسودان ، وفى ٣١ ديسمبر ١٩٥٥م أقر البرلمان السودانى الدستور وأصبح نافذاً من أول يناير ١٩٥٦م .

وأعلنت مصر على الفور اعترافها بالسودان المستقل عضواً فى جامعة الدول العربية ، وفى ١٢ نوفمبر أصبح عضواً فى هيئة الأمم المتحدة .

الإسلام فى السودان فى ظل المتغيرات السياسية السابقة :

منذ القرن السابع الميلادى بدأ الإسلام يدخل فى السودان بواسطة القبائل العربية التى هاجرت إلى هذه المنطقة الأفريقية .

(١) نص الاتفاق موجود فى : جمهورية مصر العربية - السودان ص ٢٠٠ وما بعدها .

وقد كان شيخ القبيلة عند وصوله للسودان يضع قبيلته تحت حماية حاكم من الحكام الوطنيين وكانت هذه العلاقة - عادة تتوطد بالمصاهرة حيث يتزوج شيخ القبيلة بنت الحاكم الوطنى ، وفى حالات كثيرة ينتقل الحكم من بيت الحاكم الوطنى إلى نسل شيخ القبيلة العربى من بنت الحاكم .

على أن الإسلام بدأ ينتشر فى السودان على نطاق واسع بتدفق الهجرات الإسلامية - لكن من دراسة النظم التى كانت سائدة فى الممالك والسلطنات الإسلامية التى كانت قائمة فى السودان قبل الحكم المصرى تتضح لنا عدة حقائق :

(١) فى مجال الحكم لم يكن الشرع هو أساس الحكم إنما كانت هناك قوانين عُرْفية سائدة .

(٢) وقد بقيت العقائد الموروثة تُمارس على نطاق واسع حتى بعد إعتناق الإسلام .

(٣) انتشر الإسلام بعد ذلك على نطاق واسع على يد أهل التصوف ، وارتبط هؤلاء عند العامة بأنهم يستطيعون بما لهم من كرامات فعل أشياء خارقة للعادة^(١) .

على أنه كان من نتائج الفتح المصرى للسودان إنتشار الإسلام فى مناطق بعيدة كانت مغلقة أمام الدعوة الإسلامية قبل الفتح ، كما وفد للسودان عدد من رجال الدين والعلماء ورجال الأزهر بالذات ، وكان هؤلاء أثرهم الفعال فى نشر التعاليم السليمة للإسلام - كما أن الإدارة المصرية فى السودان كانت فى حاجة لطبقة متعلمة لتصريف الشئون الإدارية فعمدت لإرسال بعض أبناء السودان بغرض الدراسة فى الأزهر .

على أن الثورة المهدية حين قامت فى السودان - قامت على أساس فكرة المهدي المنتظر الذى جاء ليخلص البلاد من جور الحكام الأجانب ولإعادة الدين إلى ما كان عليه أيام الرسول ﷺ وأيام الخلفاء الراشدين - وقد كانت فترة المهدية - كما رأينا قصيرة - لكنها بلا شك وضعت الجذور الأولى للقومية السياسية .

على أنه بعد استرداد السودان اتجهت انجلترا إلى سياسة محاربة الطرق الدينية - جماعة الأنصار بالذات ، كما اتبعت ما عُرِف (بسياسة الجنوب) فاغلقت المديرية

(١) أشار لذلك بوضوح : ود ضيف الله : كتاب الطبقات .

السودانية الجنوبية في وجه الشماليين وفي وجه الإسلام والثقافة العربية بالذات ، وبالمقابل شجعت إنتشار اللغة الانجليزية والديانة المسيحية واللهجات والعادات المحلية . ولما احتجت الحكومة المصرية على هذه الإجراءات - أنشأ الانجليز عام ١٩٠١م ما يسمى (بمجلس العلماء) من سبعة أعضاء من أئمة المساجد وقضاة المحاكم المعيّنين من قبل الحكومة ، وذلك لخلق ما يمكن تسميته (الإسلام الرسمي) لمواجهة (الإسلام الشعبي) وامتدت جهود الإدارة الاستعمارية الرامية لتأمين كيائها والحفاظ على مصالحها بإبطال فعالية الإسلام السياسية^(١) .

وقد كان لهذه السياسة الإستعمارية دورها في المناهج والكتب المستخدمة في المدارس السودانية وفي السياسة التعليمية^(٢) .

لعل السؤال الذي يفرض نفسه علينا هو :

إلى أي حد سار القضاء السوداني حسب الشريعة الإسلامية :

في الحقيقة شهد القضاء في السودان تطورات تبعاً للتطورات السياسية .

ففي سلطنة الفونج كان القضاء يسير حسب الشريعة الإسلامية ، وكان المذهب

المالكي هو المذهب السائد - لكن لا شك في أن التقاليد القبلية كان لها دورها .

وبعد فتح محمد علي باشا للسودان - أنشئت المحاكم الشرعية التي كانت تُطبق

المذهب الحنفي - لكن كانت المجالس تختص بالقضايا الجنائية والمدنية وانتهى الأمر

بأن اقتصر إختصاص المحاكم الشرعية على الأحوال الشخصية .

وفي عهد المهدي سارت المحاكم على الشريعة الإسلامية وكانت تتقيد

بالمشورات التي كان يُصدرها المهدي ، وبعد استرداد السودان ، وقُعت بين الحكومتين

المصرية والانجليزية في ١٩ يناير ١٨٩٩م اتفاقية الحكم الثنائي .

(١) للمزيد من التفاصيل انظر :

مدر عبد الرحيم (دكتور) : الإسلام والسياسة في السودان - بحث مقدم في المؤتمر

الأول لحماية الفكر والثقافة الإسلامية بالخرطوم (٢٩ محرم - ٢ صفر ١٤٠٣) ٢٧ - ٣٠ نوفمبر ١٩٨٢م .

Muddathir Abdal - Rahim : Imperialism and Nationalism in the (٢)

Sudan (Oxford 1969) p . 91 .

.. وقد نصت المادة الرابعة من هذه الاتفاقية على أن الحاكم العام من سلطته تغيير وإصدار القوانين واللوائح على أن يُبلغ الحكومتين البريطانية والمصرية بما يصدره من قوانين ومنشورات .

كما قضت المادة الخامسة على عدم سريان القوانين والقرارات المصرية على السودان - إلا إن صدر بها منشور من الحاكم العام^(١) .

ويلاحظ أن القوانين التي أصدرها الحاكم العام ، والقوانين التي عملت بها المحاكم في السودان - بإستثناء ما يتعلق بالأحوال الشخصية من زواج وميراث - مستمدة من القانون الإنجليزي ومن قوانين الولايات الهندية .

وبعد استقلال السودان كوُنت لجنة لمراجعة القوانين في محاولة لتعديل القوانين السارية لتمشى مع قواعد الشريعة الإسلامية .

ويلاحظ أنه في دستور ١٩٦٨م نص على أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسى لقوانين الدولة ، كما نص على أن للدولة أن تُصدر من التشريعات ما تعدل جميع القوانين التي تعارض أى حكم من أحكام الكتاب والسنة .

وقد حدثت مراجعة للقوانين على مراحل - ففي الثالث والعشرين من مايو ١٩٧٧م صدر القرار الوزارى رقم ٢٣٦ بتشكيل لجنة لمراجعة القوانين واعادة النظر فيها .

هذا ونشير إلي أن التعليم في السودان أيضاً - شهد تطوراً حسب المتغيرات السياسية التي مرت بالسودان .

(١) ففي العهد الإسلامى المبكر - بعد انتشار الإسلام فى شمال السودان فى القرن السادس عشر الميلادى - اتخذ التعليم النمط الإسلامى التقليدى - وهو دراسة القرآن الكريم ، ويقوم بهذا العمل (الفكى) داخل الخلوة - ولما كان عدداً للخلوى محدوداً فإن عدداً قليلاً من الأطفال كانوا يجدون أماكن للدراسة .

(١) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى :

حسين المفتى : تطور نظام القضاء فى السودان (د . ت) .

(٢) وبعد أن إمتدت الإدارة المصرية للسودان (١٨٢١ - ١٨٨٥) استمرت الخلوة فى أداء رسالتها - لكن فى سنة ١٨٥٣ فتحت أول مدرسة ابتدائية بالخرطوم ، كان يدرس فيها التلاميذ القرآن الكريم ، واللغة العربية ، والتركىة ، والحساب^(١)

كما سمح لبعض الإرساليات التبشيرية بفتح مدارس لها بالسودان .

(٣) وفى فترة حكم المهديّة (١٨٨٥ - ١٨٩٨) - عادت الخلوات لنشاطها - واضمححل شأن المدارس الأخرى .

(٤) وفى عهد الحكم الثنائى (١٨٩٩ - ١٩٥٣) زاد عدد مدارس التعليم الأولى ، وأنشئت مدارس صناعية فنية لتدريب طبقة من الصناع المهرة ، ثم أنشئت المدارس الوسطى لتدريب مدرسى المدارس الأولية ، ولتخريج طبقة من الموظفين لسد إحتياجات الإدارة الحكومية - كما استأنفت الإرساليات التبشيرية نشاطها فى مجال التعليم .

ومن المدارس التى أنشئت مدارس وادى حلفا ، وسواكن ، وواد مدنى ، وفى عام ١٩٠٢م أنشئت مدرسة ابتدائية بأمر درمان التحق بها مائة وعشرون طالباً من السودانيين ، كما أفتتحت خمس مدارس ابتدائية أخرى فى جهات مختلفة من السودان .

وفى عام ١٩٠٢م افتتح اللورد كتشتر كلية غوردون التذكارية ، وقد بدأت فى أول الامر كمدرسة ابتدائية ثم افتتح بها قسم ثانوى فى عام ١٩١٣م ، وفى عام ١٩٤٢م تحولت المدرسة الثانوية إلى كلية جامعية .

وقد قامت بعض الجمعيات الأهلية المصرية بالمساهمة فى أمر التعليم بالسودان فأفتتحت فى عام ١٩١٦م كلية الأقباط بالخرطوم ، وأفتتحت بها مدرسة البنات القبطية .

وقد ساهمت الحكومة المصرية بعد ذلك بنشاط واضح فى التعليم بمختلف مراحلها ، كما فتحت جامعة القاهرة لها فرعاً بالخرطوم ظل ينمو وتضاعف عدد

(١) عن الدراسة الابتدائية بالخرطوم انظر :

Hill , Richard : Egypt in The Sudan 1820 - 1885 (London 1959) P , 87 .

الطلاب السودانيين الملتحقين به وكان لهذا التطور الثقافى أثره فى نمو الحركة الوطنية والوعى القومى (١) .

ولم يحظ تعليم البنات فى السودان بنصيب كبير إلا فى وقت متأخر .

ونشير إلى أنه فى عام ١٩٢٢م صدر قانون المناطق المقفولة الذى خولّ الحاكم العام سلطة إعلان أى جزء من السودان منطقة مقفولة يحرم دخولها على الأجانب والسودانيين .

وهذا القانون لم يهدف إلى إبعاد الشماليين عن الجنوب وحسب ، بل كان يهدف أيضاً إلى إيقاف هجرة الجنوبيين إلى الشمال حيث كانوا يتجهون للعمل فيه .
وقد ترتبت على هذا القانون نتائج بعيدة الأثر أثمرت أخيراً مشكلة الجنوب التى مازال السودان يعانى من آثارها .

* * *

(١) عن تطور التعليم يرجع إلى :

محمد محجوب : الحركة الفكرية فى السودان (الخرطوم ١٩٤١) .

الفصل الرابع

انتشار الإسلام فى غرب افريقيا

وقيام الحركات الإصلاحية فى هذه البلاد

مر الإسلام فى انتشاره بين شعوب غرب أفريقيا فى ثلاث مراحل :

- (١) المرحلة الأولى من عام ٢٠هـ - ٤٤٣ / ٦٤٠ إلى ١٠٥٠ م
 - (٢) المرحلة الثانية من عام ٤٤٣هـ - ١١٦٤هـ / ١٠٥٠ إلى ١٧٥٠ م
 - (٣) المرحلة الثالثة من عام ١١٦٤هـ - ١٣١٨ / ١٧٥٠ إلى ١٩٠٠ م
- المرحلة الأولى ٢٠هـ - ٤٤٣ / ٦٤٠ - ١٠٥٠م :

تم فى هذه المرحلة فتح المسلمين لشمال أفريقيا فانتشر الإسلام فيها ، ومن شمال أفريقيا أخذ ينتشر جنوباً إلى السودان الغربى - جنوب الصحراء الكبرى^(١) .

وقد خضعت قبائل البربر للمسلمين ودخلت فى الإسلام وانضمت لجيوش المسلمين وساهمت فى نشر الإسلام فى غرب أفريقيا بل تعدت أفريقيا لأوربا .

ومن القبائل التى لها شأن فى نشر الإسلام فى غرب أفريقية قبائل الطوارق أو الملتمين وقد كانت هذه القبائل منتشرة فى نطاق واسع يمتد من النطاق الجبلى الذى يخرق شمال أفريقيا من الشرق إلى الغرب - من غدامس جنوب طرابلس إلى المحيط

(١) أطلق تعبير بلاد السودان على منطقة فى عزب أفريقيا تكاد تكون محدودة تحديداً واضحاً من الغرب والجنوب يحدها المحيط الاطلنطى ، بينما حدودها الشرقية ليست واضحة بهذا الشكل ، وفى الشمال تذوب هذه الحدود فى الصحراء - انظر :

Trimingham, j. Spencer : Islam in West Africa (Oxford 1964) p. 1.

الأطلسي غرباً ، وكانوا ينقسمون بدورهم إلى عدة قبائل من أشهرها قبيلة لمطة ،
وقبيلة لتونة ، وقبيلة جدالة ، وقبيلة مسوفة^(١) .

وكانت هذه القبائل تعمل بالتجارة فأصبحت حلقة الإتصال بين المغرب بشعوبه
وحضارته وثقافته وبين المحيط الزنجي الواقع إلى الجنوب والذي يمتد شرقاً حتى بحيرة
تشاد .

وتلعب التجارة دوراً هاماً في نشر الإسلام والثقافة العربية في غرب أفريقيا حتى
أن (ارنولد) يذكر إن التجارة والإسلام في غرب أفريقيا مرتبطان كل الارتباط^(٢) .

فعلى الرغم من العقبات الطبيعية التي كانت تعوق الوصول إلى قلب القارة -
فقد كانت هناك مراكز تجارية بمثابة (الموانئ) يتطلع إليها المسافرون عبر الصحراء حيث
يجدون نبض الحياة فيستريحون ويستبدلون الجمال الضعيفة المنهكة بغيرها ليستطيعوا
مواصلة الرحلة ، وبها يحدث التبادل التجاري ، وكانت بحيرة تشاد نفسها حلقة هامة
في هذه السلسلة من طرق الاتصال ، فالنيجر ينحني انحناءة عظيمة صوب الشمال
ليقرب من حافة الصحراء ، وهذه الصحراء لا تتصل بساحل المحيط إتصلاً مباشراً -
لكنها تترك سهلاً ساحلياً يجعل الاتصال عبره ممكناً بين الجنوب والشمال ، وعبر هذا
الطريق إتصل سكان شمال أفريقيا (المغاربة على وجه الخصوص) منذ أقدم العصور
بالسهل الخصب الواقع جنوب الصحراء الكبرى ، وكانت التجارة من أهم دوافع
الإتصال بين الإقليمين - وكان للمغاربة دور هام في هذه التجارة ، وكان ملح الطعام
الذي يُستخرج من مناجمه الواقعة جنوب المغرب الأقصى - من السلع الهامة التي
يحتاج إليها الزنوج وغيرهم من شعوب المنطقة الواقعة جنوب الصحراء ، هذا
بالإضافة إلى النحاس ، والمنسوجات ، والزمرد ، والعقود ، والحلى .

وكانوا على استعداد لمبادلة هذه السلع بالذهب والمحاصيل الأفريقية الرعوية أو

(١) حسن أحمد محمد : الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا - مرجع سابق ص ٢٠٢ وما
بعدها وكذلك .

Bovill , E . W . : The Golden Trade of The Moors (Oxford 1961) .

وقد ترجمه للعربية د . زاهر رياض تحت عنوان : الممالك الإسلامية في غرب أفريقيا
واثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى (انظر الفصل الرابع) .

(٢) توماس ، أرنولد : الدعوة إلى الإسلام (مترجم - القاهرة ١٩٥٧) ص ٣٧١ .

الاستوائية التي وجدت طريقها إلى البحر المتوسط وأوروبا على يد التجار المغاربة على وجه الخصوص ، ويكفى أن نذكر أن هذه البلاد انفردت لفترة طويلة بثروتها الذهبية ، فقد كانت المصدر الرئيسي لذهب العالم إلى أن اكتشفت مناجم أمريكا الجنوبية والهند وجنوب أفريقيا^(١) .

وانتشر الإسلام انتشاراً سريعاً وهادئاً - دون اللجوء للعنف عبر هذه الطرق التجارية الممتدة من بلاد المغرب عبر الصحراء الكبرى أو على طول المحيط الأطلسي إلى بلاد السنغال وأعلى النيجر ومنطقة بحيرة تشاد ، وكان للتجار المسلمين دور كبير في هذا المجال .

فقد كان التجار المسلمون في تنقلهم بين المراكز التجارية يحتكون بالزنج ، ويؤثرون فيهم بسلوكهم الشخصي وأمانتهم ونظافتهم ، وكثيراً ما انتهى هذا الاحتكاك بدخول كثيرين من هؤلاء الزنج في الإسلام ، وعدد غير قليل من هؤلاء التجار كان يجمع بين التجارة والعلم - فإذا ما استقر بهم المقام أنشأوا حلقات لتعليم القرآن الكريم أو للعبادة ، وقاموا بمزاولة النشاط التعليمي والدعوة لإتباع مبادئ الإسلام بجانب نشاطهم التجاري ، ولذا تركز الإسلام على الخصوص من المبدأ في المراكز التجارية الهامة والمدن ثم تسرب منها إلى المناطق البعيدة .

وهكذا دخل الإسلام إلى كثير من بلدان غرب أفريقيا في ركاب التجار وكنتيجة لنشاطهم ، وانتشر بعد ذلك أكثر بانتشار نفوذ المسلمين ، فقد أصبح الإسلام - كما يقول ترمينجهام - بمثابة تصريح مرور لمن يريد الاتجار بنجاح في أفريقيا الغربية^(٢) .

ومن أهم أحداث هذه الفترة ظهور المرابطين في القرن الحادى عشر - ففى مسهل هذا القرن قام يحيى بن إبراهيم - شيخ قبيلة تهامه - بعد عودته من تأدية فريضة الحج بالبحث عن شيخ فاضل يعاونه على تعليم رجال قبيلته أصول الدين ، واقترب في عبد الله بن يس الشخص الذى يليق بهذا العمل .

Fage : An introduction To The History of West Africa (Cambridge 1955) P . P . 9 - 10 .

Trimingham : op . Cit . P : 28

(٢)

وكرس عبد الله نفسه لهداية الناس - وقد لجأ عبد الله بن يس مع لقيف من تلاميذه إلى جزيرة في نهر السنغال حيث بنوا بها رباطاً وأسلموا أنفسهم فيه للعبادة .
وفي عام ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م قاد عبيد الله بن يس أتباعه ، وكان قد أطلق عليهم (المرابطين) في حركة نشطة لدعوة القبائل المجاورة للإسلام .

وزحف المرابطون على المغرب في عام ٤٤٧هـ - تحت قيادة عبد الله بن يس فوصلوا تافيلالت ، وفي العام التالي غزوا السوس ، ثم فتحوا تادله ، وبذا دان لهم جنوب المغرب ، وواصلوا بعد ذلك مسيرتهم بقيادة يوسف بن تاشفين الذي أظهر براعة عسكرية وقدرة على التنظيم العسكري ، وفي عام ٤٦٢هـ / ١٠٦٩ أسس يوسف بن تاشفين مدينة (مراكش) لتكون مركزاً للدولة ، فأخذت تزدهر وأما رجال العلم والأدب والفن من كل صوب ، ومن أهم آثار المرابطين بها جامع ابن يوسف ويعتبر المعهد الثاني في المغرب بعد جامعة القرويين^(١) .

وبعد أن أتم الأمير يوسف بن تاشفين تنظيم جيشه - توجه إلى مدينة فاس فأستولى عليها ثم إستولى على طنجة سنة ٤٧٠هـ واتجه بعد ذلك نحو المغرب الأوسط فسقطت مدنه الواحدة تلو الأخرى في يده .

ولما بلغ يوسف بن تاشفين هذه الدرجة ، وذاع صيته في العالم الإسلامي -- استنجد به ملوك الطوائف بالأندلس - فسار إليهم وتقابل مع جيوش الفونس السادس ملك قشتاله فكان انتصاره حاسماً في واقعة الزلاقة يوم الجمعة ١٥ رجب ٤٧٩هـ .

وقد اضطر يوسف بن تاشفين للعودة إلى بلاد الأندلس مرة أخرى لتخليص المسلمين من خطر الإنقسام الداخلي - وبعد أن هزم العدو المهاجم - ضرب على أيدي ملوك الطوائف وعزلهم وأسند إلى قائده (سرين أبي بكر اللبتوني) ولاية الأندلس - وبذلك ضُمت بلاد الأندلس إلى الامبراطورية المغربية المرابطية التي أصبحت تجمع ما بين المغربين الأقصى والأوسط شرقاً وبلاد الأندلس شمالاً ، وتمتد إلى بلاد السودان والسنغال جنوباً .

(١) هناك خلاف حول تاريخ تأسيس مدينة مراكش ، وقد ناقش عبد الله عنان هذا الأمر - انظر عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس (١٩٦٤) ص ٣٨ ، ٣٩ .

وقد انتهى أمر دولة المرابطين فى المغرب بسقوط عاصمتهم فى يد الموحدين فى
عام ٥٤١هـ / ١١٤٧م .

المرحلة الثانية من ٤٤٣هـ إلى ١١٦٤هـ :

فى هذه المرحلة الهامة - دخل فى حظيرة الإسلام - العديد من قبائل الصحراء
الغربية ، وقامت فى السودان الغربى ممالك (إمبراطوريات) إسلامية قوية - فقد
انتشر الإسلام فى البلاد التى يروىها نهرا السنغال والنيجر .

ومن هذه الممالك - مملكة غانة ، وكانت تشغل الرقعة من الأرض بغرب إفريقيا
التي تقع عند الطرف الجنوبى لطريق القوافل عبر الصحراء الكبرى الممتدة من
سجلماسة فى بلاد المغرب ماراً بتغازا التى اشتهرت بمناجم الملح .

واشتهرت غانة بالذهب - وقد ذكر محمود كعت إنه كان بمدينة غانة العاصمة
إثنا عشر مسجداً^(١) ، وذكر عبد الرحمن السعدنى - إنه عاش بغانا كثير من العلماء
ورجال الدين والأدب ، وطلاب العلم وكانت العربية لغة التعامل ليس بين المسلمين
فحسب بل وفى جميع أنحاء الإمبراطورية ، وحاضرة غانة هى كومبى^(٢) .

وقد بدأ الضعف يدب فى مملكة غانة منذ عام ١٢٠٣م - حتى استطاع جيش
أحد الأقاليم التابعة عليها - وهو اقليم صوصو أن يهاجم العاصمة واستولى عليها
وضربها حوالى عام ١٢٤٠م - فاضطر مسلمو غانة للفرار إلى (ولاته) شمال كومبى
، وأصبح هذا المكان الجديد مركزاً للحياة الإسلامية فى الصحراء الكبرى^(٣) .

مملكة مالى :

منذ أواسط القرن الحادى عشر كان الإسلام قد أخذ يتشرب بين أفراد الأسرة
الحاكمة فى مالى وقد اعتنق ملك مالى الإسلام فى عام ١٠٥٠م ، وأدى فريضة الحج

(١) محمود كعت : تاريخ الفتاش فى أخبار البلدان ، والجيش وأكابر الناس (ترجمة
هوداس ، وديلافرس باريس ١٩١٢م) .

(٢) عبد الرحمن السعدنى : تاريخ السودان ، نشره وعلق عليه هوداس .

(٣) عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الإسلامية السردانية بغرب إفريقيا (١٩٦٦) .

وتبعه خلفاؤه الواحد تلو الآخر - ومنذ عام ١٢٣٥ بدأ نجم مالي يظهر ، وضمت إليها عدة أقاليم مجاورة .

فقد ضمت إقليم مالي ، وصوصو ، وإقليم غانة ، وبلاد تكرور - وكانت هذه الأقاليم ممالك مستقلة لكنها اندمجت في مملكة واحدة ، وأصبحت مالي إمبراطورية إسلامية ضخمة بغرب القارة الأفريقية^(١) .

ومن أشهر حكام مالي السلطان منسى موسى ، وقد ذاع صيته في العالم الإسلامي - إذ ارتبط اسمه برحلة الحج الطويلة التي قام بها إلى بيت الله الحرام عام ٧٢٣هـ / ١٣٢٤م في ركب قيل إنه كان يضم أكثر من عشرة آلاف حاج - فمر به (ولته) ، و (توات) ، و (سرتة) على شاطئ البحر المتوسط في برقة واتجه منها مساحلاً إلى أن وصل إلى القاهرة - وذلك في عهد السلطان المملوكي الناصر محمد ابن قلاوون .

والذين تحدثوا عن هذا الموكب يعطون لنا صورة لعل فيها بعض المبالغة - لكنها لا تخلو من حقيقة ، فقد أحاط هذا السلطان نفسه بمظاهر الترف والإسراف في مصر ؛ وكانت معه كميات كبيرة من الذهب الخام - حتى قيل إنه لم يدع أميراً من أمراء الممالك في مصر ، ولا رب وظيفة سلطانية إلا وصله بحمل من الذهب ، كما أفاض في هباته على الفقراء في الأراضي الحجازية ، ومنح عن سعة حتى قيل إن قيمة الذهب إنخفضت إنخفاضاً ملحوظاً لكثرة ما أنفقه .

ومن طريف ما ذكر عن بعثة الحج هذه إن سلطان مالي في طريقه إلى الحج بعث برسالة إلى سلطان المغرب يخبره فيها إن موكبه سيمر من الطريق المحاذي ساحل البحر المتوسط ، فأصدر السلطان المغربي أوامره بحراسة السلطان المالي أثناء اجتيازه الصحراء ، ولبست المملكة حلة الزينة لاستقبال ضيف المغرب الذي أحاطت به مظاهر الأبهة والبذخ وحمل معه أحمالاً من الهدايا قدمت إلى الحضرة بفاس وتركت آثارها في نفوس المغاربة الذين كانوا ينظرون إلى القادمين نظرة الاحترام والتقدير ، وعندما

(٤) أطلق بعض المؤرخين على مملكة (إمبراطورية) مالي إسم مملكة التكرور أو مملكة التوكولور ، مع أن التكرور - كما ذكرنا إقليم من أقاليمها - ابن خلدون: العبر جده ص ٥٠ .

إنطلق الموكب من مالى إلى تلمسان صحبته كوكبة من الخيالة المغاربة الذين كانوا يحملون أوامر بمضاعفة مظاهر الحفاوة عند المرور ببيجاية وتخوم تونس ، ووصل الموكب منصر حيث وجد الملك المالى - عاهل الجركسى يفتحه فى موضوع إقامة صلات تجارية وسياسية بين البلدين يجب إخفاء أمرها عن المغرب - لكن الحديث بين الملكين بلغ فاس .

ولا يطيل المؤرخون فى الحديث عما جرى بعد ذلك - لكن الظاهر أن ملك مالى أكد للملك المغرب بعد عودته - بأن الحلف الذى سبق أن عُقد بين المملكتين - المغرب ومالى - لن يتأثر ، كما أن الحاكم المصرى نفسه سعى بعد ذلك بكل الوسائل لتأييد حسن نواياه تجاه المغرب^(١) .

ولم تكن مظاهر الكرم - الذى صاحب رحلة العاهل المالى للحج مقصورة على القاهرة - فقد أنفق المال بسعة فى كل مكان ذهب إليه ، وحدث ذلك أيضاً فى أثناء زيارته المدينة المنورة ومكة المكرمة وغيرهما .

وقد ذكر المؤرخون إن منسا موسى - لما رجع ثانية إلى القاهرة كان قد أنفق كل ماله ، ومع ذلك فقد ظل متمسكاً بجميع مظاهر الأبهة - وأضطر للإقتراض من أحد تجار الاسكندرية ، وقد سحب هذا التاجر هو وولده إلى مالى ليسترد دينه ، وقد توفى هذا التاجر الثرى فى مسوفة ، ودفع منسا موسى ما كان عليه إلى ولده الذى انصرف عائداً إلى مصر^(٢) .

وقد مات منسا موسى عام ١٣٣٢ بعد حكم دام خمساً وعشرين سنة ، وبعد موته بدأ الانقسام يدب غى عظام الإمبراطورية فقد تولى أمرها خلفاء تعوزهم القدرة .
ومن الامبراطوريات الاسلامية الهامة التى قامت بالسودان الغربى :

إمبراطورية سنغاي .

وقد قامت هذه الإمبراطورية فى النيجر الأوسط ، وشعب السنغاي - شعب

(١) العمرى : مسالك الأبصار ص ٩٤٣ وما بعدها

وابن الوردى : ذيل المختصر فى أخبار البشر ص ٢ ص ٢٧٥ .

(٢) عبد الرحمن زكى : مرجع سابق ص ١٠٩

زنجي وكان الإسلام قد دخل هذه البلاد في القرن الحادى عشر واعتنقه
ملوكهم .

ومن أهم مدنها (جاو) الواقعة على الضفة اليسرى لنهر النيجر ، و (جنى)
التي اشتهرت كمركز للعلم ، وكسوق تجارى .

وقد خضعت سنغاي لسيادة مالى فترة من الزمن - لكنها تحررت بعد ذلك ونمت
وازدهرت ، ومن اشهر ملوك سنغاي اسكيا محمد الكبير (١٤٩٣ - ١٥٢٨) وقد
ذهب للحج فى صفر ٩٠٢ هـ / ١٤١٦ م .

وقد نجح هذا الحاكم فى مد سلطانه إل (كانو) . ولم يحظ موكب حجه بما
حظى به موكب منسا موسى من شهرة - لكن اشتهر اسكيا محمد بتشجيعه للعلماء ،
وقد ذاعت فى عهده شهرة (تنبكتو) ، ومعهد سنكورى الدينى ، وكذلك معاهد
العلم التي أفتتحت فى جنى ، و جاو .

ومن أبرز رجال العلم الذين قربهم إليه - العالم محمد المغيلى التلمسانى وهو
من العلماء الذين برزوا فى السودان الغربى فى القرن الخامس عشر ، وقد توفى فى
حوالى عام ١٥٠٤م - وقد انتهت فترة حكم أسكيا محمد فى سلطنة سنغاي بثورة
أبنائه عليه فى عام ١٥٢٨م ونفى إلى جزيرة نائية .

ومن حكام سنغاي اسكيا إسحق (١٥٨٢ - ١٥٩١) - وفى أثناء حكمه أرسل
السلطان أحمد المنصور - سلطان المغرب حملته للإستيلاء على تنبكتو وإخضاع سنغاي
لسلطانه (١) .

ومن إمبراطوريات غرب أفريقيا الإسلامية - إمبراطورية كانم و برنو وقد شملت
إمبراطورية كانم فى أوج مجدها رقعة واسعة فى غرب القارة تمتد من نهر النيجر غرباً
إلى النيل شرقاً ، وقد استمرت إمبراطورية كانم قائمة فترة امتدت من القرن الثامن

(١) للتفاصيل عن حملة المنصور السعدى يرجع إلى :

- السعدى : تاريخ السودان (نشر هوداس باريس ١٨٩٨) .

- محمود كعت التنبكتى : تاريخ الفتاش - مرجع سابق .

الميلادى إلى القرن الثالث عشر ، وبدأ الضعف بعد ذلك يدب في أوصالها فأصبحت جزءاً من برنو بعد أن كانت برنو خاضعة لها .

وقد اعتنق حكام كاتم الإسلام منذ أوائل القرن الحادى عشر مما أكسب دولتهم أهمية كبرى .

أما امبراطورية برنو - فقد ازدهرت فى القرن السادس عشر ، واشتهر من حكامها ماي إدريس علومة (١٥١٧ - ١٦٠٢) وقد بذل جهداً مشكوراً فى تعمير المساجد فى بلاده ، ودعم الروح والمبادئ الإسلامية فيها .

وقد ظلت مملكة برنو قائمة حتى هاجمها الفولة وانتزعوا أقاليم الهوسا التى كانت تابعة لهم وأخضعوها لدولتهم .

أما المرحلة الثالثة - لإنتشار الإسلام فى السودان الغربى :

فتمتد من منتصف القرن الثامن عشر الميلادى إلى أوائل القرن العشرين (١٩٦٤هـ - ١٣١٨) وبعد ذلك ندخل فى المرحلة المعاصرة .

وتتميز المرحلة الثالثة هذه بنشاط المصلحين الدينيين لنشر تعاليم الدين الإسلامى الصحيحة فى غرب القارة ، وأضطروا فى سبيل ذلك لمحاربة الذين وقفوا فى وجه هذه الموجة الإصلاحية .

ومن أشهر هؤلاء عثمان دان فوديو ، وأحمد لوبو ، ومحمد الأمين الكانمى ، وعمر الفتوى التكرورى ، الإمام صمودو .

ويلاحظ إنهم جميعاً أفارقه اعتنقوا الإسلام وتفقهوا فيه ، وجاهدوا فى سبيل نشره وتنقيته من الشوائب التى علقت بالممارسات التى أداها بعض الملتمين للإسلام الذين لم يتخلصوا من آثار الوثنية وغيرهم .

عثمان دان فوديو :

يعطى الشيخ دان فوديو - مؤسس الإمبراطورية الفولانية التى استمرت بغرب أفريقيا - ما يقرب من مائة عام - مثلاً قوياً للتحركات الإصلاحية التى قامت فى العالم

العربي عامة ، وفى إغرب أفريقيا بصفة خاصة للعمل على إعادة مجد الإسلام ، ونشر مبادئ الدين الصحيح ، وتطبيق أحكام الشريعة .

وكما رأينا فإن الإسلام انتشر فى السودان الغربى عن طريق التجار المسلمين من الشمال الأفريقى وغيره .

وكانت حركة المرابطين أثرها فى إقامة دولة إسلامية شملت المغرب ، والسودان الغربى ، والأندلس ، وكان للمرابطين الفضل فى الدعوة للإسلام بين القبائل الزنجرية الوثنية التى تقطن الصحراء ، وفى عهد المرابطين تأسست مدينة تنبكت ، وانتشر الإسلام إلى مدينة جنى ، كما إقتفى الموحدين أثر المرابطين فى نشر الدعوة الإسلامية .

وقد ترتب على تدفق الهجرات العربية على شمال أفريقية ، وضغطها على قبائل الطوارق (الملمين) إلى حركة هذه القبائل صوب الجنوب وانتشارها بين القبائل الزنجرية مما أدى لنشر الإسلام ، وتكوين مراكز إسلامية متعددة فى الصحراء الغربية انبعث منها نور الإسلام ، ووصل إلى نهري السنغال والنيجر ، ومن القبائل التى انتشر بينها الإسلام - قبائل الفولاني (الفولة) . ومن أشهر عشائهم عشيرة (الطرونكه) التى ينتمى إليها عثمان دان فوديو^(١) .

ولد عثمان بن فودى فى ماراتا (Marata) فى عام ١١٦٩هـ / ١٧٥٤م .

ونشأ فى أسرة متدينة ، عدد كبير من أفرادها يشتغل بالوعظ والتدريس ، فنشأ نشأة دينية خالصة^(٢) .

وقد تلقى دروسه الأولى على يد أبيه محمد فودى^(٣) .

(١) عن أصل قبائل الفولاني - يرجع إلى :

- مصطفى مسعد : الإسلام ، وحركات الفولاني الإصلاحية فى غرب أفريقية (بحث

بمجلة جامعة أم درمان الإسلامية - العدد الاول ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) .

- كذلك محمد بلو : انفاق المسور فى تاريخ بلاد التكرور (مطبعة الأزهر ١٩٦٤م) .

(٢) آدم عبد الله الكورى : الإسلام فى نيجيريا (بيروت ١٩٧١) ص ٩٣ - ٩٥ .

(٣) كلمة فودى بالفولانيه تعنى الفقيه .

وكذلك تلقى العلم عن والدته حواء ، وجدته رقيه ، ودرس الإعراب ،
والفقه ، التفسير عن عدد من الشيوخ والفقهاء والعلماء ، وعرف مبادئ الطريقة
القادرية فأصبح من أقطابها .

وقد هاله حال المسلمين في بلاد الهوسا فمنهم من يخالط الوثنيين دون تخرج ،
ومنهم من يقلدهم في سلوكهم^(١) .

فعزم الشيخ عثمان على محاربة هذه البدع ، وتعريف هؤلاء القوم بتعاليم
الإسلام الصحيحة .

وبدأ جهاده بالدعوة إلى الدين السليم ومبادئه بالحسنى والموعظة
الحسنة ، واحتمل مشاق الأسفار في سبيل الدعوة ، وجاهر بمبادئه الإسلامية السليمة ،
كما ألف العديد من الكتب والشروح لتوضيح المبادئ الصحيحة - ولعل الوثيقة التي
عُرفت (بوثيقة أهل السودان) توضح أهم المبادئ التي نادى بها^(٢) .

وقد اتجه الشيخ عثمان للتأليف في الفقه ، والتفسير ، وأصول الدين ، والأدب
والشعر ، والدعوة للتمسك بالأخلاق والمثل العليا ثم الدعوة للجهاد فيما بعد^(٣) .
وأغلب كتبه ومقالاته وأبحاثه مازالت مخطوطة ، وإن كان بعضها قد طُبِع^(٤) .

(١) عن الطريقة القادرية وغيرها من الطرق الصوفية يرجع إلى :

عبد الله عبد الرازق إبراهيم : أضواء على الطرق الصوفية في القارة الأفريقية (١٩٩٠) .

(٢) الهوسا : ينتمون إلى الجنس الزنغى رغم أنهم يتكلمون لغة حامية ، والهوسا
يمثلون خليطاً من شعوب انتمى إلى أصول مختلفة ، ويمتد الإقليم الذي يتركز فيه الشطر الأكبر
من الشعوب الناطقة بتلك اللغة من زارية إلى كسينا ، وسكوتو في شمال نيجيريا اليوم ،
ويقدر عددهم بخمسة ملايين ونصف المليون نسمة وهم يدينون بالإسلام - انظر : (عبد
الرحمن إزكى : تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقيا الغربية (١٩٦١ م) ص ١٩ .

(٣) لتوضيح ما جاء بهذه الوثيقة يرجع إلى :

Bivar , A . D . D . H . : Wathigat AhL - AL Sudan (Journal of
African History vol . 11 No . 2 - 1961) .

(٤) تناول الدكتور محمود سمير أحمد محمد التابعى بالشرح التفصيلي ، والتحليل هذه
الكتب - في رسالته التي قدمها للماجستير بمعهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة
(١٩٧١ م) تحت إشراف د . شوقي الجمل .

ومن أهم كتبه :

- ١ - كتاب إحياء السنة وإخماد الفتنة :
 - والأصل مخطوط بمكتبة جامعة إبيدان بنيجيريا. تحت رقم ١٨٦ .
 - وقد قامت لجنة من علماء الأزهر الشريف بمصر بتحقيقه ونشر في عام ١٣٩١هـ (١٩٦٢م) .
- ٢ - بيان وجوب الهجرة على العباد ، وبيان وجوب تنصيب الإمام ، وإقامة الجهاد . مخطوط بمكتبة الآثار بكدونا تحت رقم ٨٢ / ٥٣ - ويشتمل على ٨٦ ص .
- ٣ - حصن الأفهام من جيوش الأوهام .
 - مخطوط بمكتبة ابيادان بنيجيريا - من إثنين وسبعين صفحة .
 - ٤ - سراج الأعوان في أهم ما يحتاج إليه في هذا الزمان :
 - مخطوط بمكتبة ابيادان بنيجيريا - يحتوى على أربعين صفحة .
 - ٥ - إحجام المفكرين في الزجر عن البدع والأهواء .
 - طُبِع هذا الكتاب بمطبعة مصطفى الحلبي بالقاهرة (١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩م) .
 - وتوجد نسخ منه بالهيئة العامة للكتاب بمصر تحت رقم ٢٩٥٤٠ .
 - ٦ - أصول الدين :
 - مخطوط من ثمان صفحات بمكتبة ابيادان بنيجيريا .
 - ٧ - هداية الطلاب :
 - مخطوط بمكتبة ابيادان بنيجيريا .
 - ٨ - الفرق بين ولاية أهل الإسلام ، وأهل الكفر :
 - نُشر بمجلة معهد الدراسات الشرقية بالدراسة مجلد ٢٣ - عدد ٣ لعام ١٩٦٠م .
 - ص ٥٥٨ - ٥٧٩ .

٩ - تنبيه الإخوان على أحوال أرض السودان :
مخطوط بمكتبة إبيادان بنجيريا - فى ١٧ ص ، وقد قدم (هودجكين) ملخصاً
لما تناوله الكتاب (١) .

١٠ - تعليم الإخوان بالأمور التى كفرنا بها ملوك السودان

مخطوط بمكتبة إبيادان - فى خمسة وعشرين صفحة .

١١ - الأمر بموالاة المؤمنين ، والنهى عن موالاة الكافرين :

مخطوط فى مكتبة إبيادان فى ٨ صفحات .

١٢ - نصيحة أهل الزمان :

مخطوط فى سبعة فصول - بمكتبة إبيادان .

١٣ - أصول الولاية :

مخطوط فى اثنين وعشرين صفحة - مكتبة إبيادان .

١٤ - أجوبة محررة عن أسئلة مقررة :

مخطوط عبارة عن ثلاثة عشر فتوى فى أمور الدين بمكتبة إبيادان .

١٥ - ضياء السياسات ، وفتاوى النوازل فى فروع الدين من المسائل (١) .

ولست هذه كل أبحاث ، ومقالات الشيخ عثمان - فله عدد آخر من المقالات
فقد دأب على الوعظ ، والتدريس ، ودعوة الناس للتمسك بتعاليم الإسلام
الصحيحة .

وقد كثر أتباع الشيخ ومريديه الذين إلتفوا حوله - مما أوغر صدور الحكام فى
إمارات الهوسا ، إذ خافوا على ملكهم من الضياع خاصة أن الشيخ فضح تصرفاتهم
التي تتعارض مع تعاليم الإسلام .

وتعرض الشيخ وأتباعه لكثير من صنوف الأذى ، مما أدى لأن يدعو فى عام
١٢١٦ هـ / ١٨٠٤ م - أتباعه للهجرة معه لأطراف الصحراء إلى مدينة (جودو) على
حدود إمارة حوير .

Hodgkin , T . : Nigerian Prepectire (London 196٥) P . P . 19٥ (١)

وتطورت الأحداث بعد ذلك وأدى ذلك أتباعه لمبايعته على إطاعة الله ورسوله والجهاد معه فى سبيل الله ، فبايعوه أميراً للمؤمنين فأصبح يُلقب (بأمر المؤمنين) .
وقد بايع الشيخ عدد من أتباعه منهم أخوه عبد الله ، وابنه محمد بلو ، وعدد من تلاميذه ومريديه .

وإختار الشيخ أفراداً من أتباعه ليقوموا بمهام خاصة ، وليعاونوه فى جهاده .
وقد بدأ الشيخ عثمان فى تشكيل جيش يستعين به على مواجهة الوثنيين^(١) . وكانت هذه البيعة ، وتلك التنظيمات التى بدأها الشيخ بداية لإصطدامه بمعارضيه وفى مقدمتهم أمير جوبير .

وتعددت الإصطدامات بين أتباع الشيخ وقواته وبين قوات أمير جوبير ، وتسجل لنا المراجع العربية والأجنبية أخبار هذه الوقائع والإصطدامات .
وقد نجحت قوات الشيخ فى أن توقع الهزيمة بأمر جوبير ، وأن تضم عدة مدن هامة تحت سلطانه منها كتسينه ، وكانو ، وزارية ، وهادية ، وادموا ، وجزء من برنو .

وقد استعصت العاصمة (الكلوه) على الفولة لفترة - لكنها سقطت أخيراً فى يد محمد بلو بن الشيخ عثمان^(٢) .

واستنجد حكام برنو بمحمد الأمين الكانمى الذى أمدهم بقوة عسكرية كبيرة نجحت فى وقف تقدم قوات الشيخ عثمان - لكن لم يأت عام ١٨١٠ حتى كان الشيخ عثمان قد أخضع معظم بلاد الهوسا ووحدها تحت سلطانه ، واتخذ لإداراتها مدينة (سوكوتو)^(٣) . وقد قسم هذه المناطق التى خضعت له إلى قسمين :

(١) آدم عبد الله الألورى : مرجع سابق ص ١١٠ - ١١٢ .

(٢) عن هذه الوقائع انظر :

- عبد الله عبد الرازق إبراهيم : الإسلام والحضارة الإسلامية فى نيجيريا (١٩٨٤م) .

Crowder , M . : The Story of Nigeria (London 1962)

- Smith , M . G . : The jihad of Sheh Dan Fodio (1960)

(٣) عن العلاقات بين امبراطورية سوكوتو ، وامبراطورية البرنو يرجع إلى

عبد الله عبد الرازق إبراهيم : مرجع سابق، ص ٢٣٩ وما بعدها .

(أ) قسم شرقي - وضعه تحت حكم ابنه محمد بلو

(ب) قسم غربي - وضعه تحت حكم شقيقه عبد الله .

وقد تفرغ الشيخ بعد ذلك للزعامة الروحية - وللتأليف والإرشاد ، وفي عام ١٨١٧ توفي الشيخ عثمان وهو في الثالثة والسبعين من عمره ، وقد استمرت إمبراطورية سوكونو حتى عام ١٩٠٣م حين سقطت عاصمتها في يد القوات البريطانية الغازية في ١٤ مارس من هذا العام .

أحمد ولوبو :

تختلف الحركة التي قادها هذا الزعيم عن حركة عثمان دان فوديو - فقد إدعى المهدي ، وذكر إنه مبعوث العناية الإلهية لإنقاذ المجتمع الإسلامي في غرب أفريقيا ومحاربة الوثنية في هذا الجزء الهام من القارة^(١) .

وقد انتشرت حركة أحمد ولوبو في ماسنة ، ووجد فيها القولانيون فرصة جديدة لتوحيد صفوفهم وارتفاع شأنهم في هذه المناطق من غرب القارة - كما إرتفع شأن إخوانهم في شمال نيجيريا على يد الزعيم عثمان فوديو .

وقد وجه أحمد ولوبو الرسائل إلى المسلمين في أفريقيا كلها من مصر شرقاً إلى المغرب (مراكش) غرباً - بل وإلى المسلمين في الأقطار الإسلامية المختلفة يشير فيها إلى أنه الإمام الثاني عشر ، وإنه المهدي الذي بُعث لإنقاذ الدين والمسلمين مما وصلوا إليه .

وفي عام ١٨١٣م أعلن الجهاد ونجح في عام ١٨٢٧ في دخول مدينة تُنبكت ، ثم دخل جنى ، واتخذ بالقرب منها عاصمة له سماها (حمد الله) .

وقد توفي في ١٨٤٤م ولم تعمر دولته بعده طويلاً .

عمر الفتوى التكروري :

ولد عمر الفتى في قرية (حلوار) بأرض فوته ، وقد أعجب بمبادئ التيجانيه ، كما أعجب بدعوة عثمان دان فودي الإسلامية ، وقد درس فترة في الأزهر عام ١٨٢٣م وتزوج ابنة السلطان محمد بلو بن عثمان .

Dibois , F. : Tombouctou , La Mystérieuse (Paris 1889) .

(١) -

وقام بغزو إماره البمباريه فى (كارته) مركز الوثنية فى عام ١٨٥٤م ، وقد تكتل حوله التوكولور (Tuculor)^(١) واصطدم عمر بالفرنسيين - فى عام ١٨٥٧م - الذين كانوا يعملوا لتوطيد سلطانهم فى غرب أفريقية ، وانتهى الأمر بوفاة الحاج عمر فى عام ١٨٦٥م .

الإمام صمودو :

صمودو (صمدى) من الماندنجو المنتشرين^(٢) فى جنوب سنغامبيا ، وقد ولد فى عام ١٨٤٦م ، واعتنق الإسلام فى شبابه وجمع حوله عدداً من مريديه ، ونجح فى تأسيس حكمه فى جنوب سنغامبيا فى الحوض الأعلى من نهر النيجر وروافده . وقد بلغ صمودى أوج قوته فى عام ١٨٨١ - لكنه اصطدم بالفرنسيين ، فأسروه فى عام ١٨٩٨م ومات فى عام ١٩٠٠م .

المسلمون فى أفريقيا الغربية اليوم :

رأينا كيف انتشر الإسلام فى غرب أفريقيا ، وقد كان للتجار المسلمين وللمغاربة بوجه خاص دور هام فى هذا المجال .

وكان لبعض القبائل والشعوب التى دخلت الإسلام دور كبير فى نشر الإسلام فى غرب القارة - فالبربر الذين قاوموا الإسلام فى البداية لعبوا دوراً هاماً فى نشر الدين وتعاليمه فى البلاد التى يربطها نهر السنغال ، ونهر النيجر ، ويذكر فى هذا السبيل بالذات الدور المتميز الذى لعبته قبيلتا لتونه ، وجداله الصنهاجيتان .

وبرزت جهود المرابطين وفى مقدمتها جهود يوسف بن تاشفين ثانى أئمة دولة المرابطين ومؤسس مراكش - فى مجال تحويل القبائل الوثنية فى غرب القارة إلى الإسلام .

(١) التوكولور - شعب زنجى كان يسكن

مرتفعات فوتا جالون وعلى ضفاف النيل وكان من أسبق الشعوب إلى الإسلام .

(٢) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى :

Fage : An Introduction to the History of West Africa (Cambridge 1955)

وقد ظهرت فى غرب القارة ممالك (إمبراطوريات) إسلامية قوية فى غانه ،
وسنغاي ، ومالى ، وكاتم ، وبرزنو .

ويعيز الحركة الإسلامية فى غرب أفريقيا ظهور مصلحين من الجنس الأفريقى .
تصدوا لما شاب المجتمع الإسلامى فى هذه البلاد من شوائب تعارض مبادئ الإسلام
وما يدعو له وما ينهى عنه ، فقاموا بحركات قوية بل تنجحوا فى محاربة دول وثنية فى
غرب القارة وبنوا إمبراطوريات كبيرة .

أما القبائل والشعوب فى الغرب القارة التى دخلت الإسلام - ولعبت دوراً هاماً
فى نشره بين القبائل والشعوب الأخرى فأهمها .

١ - قبائل الطوارق الملمون : وهم قبائل رحل ، يتنقلون فى مناطق شاسعة
بالصحراء الغربية تمتد حتى منحى النيجر ، ولهم نظام قبلى خاص ، فهم يعيشون فى
مجموعات ولهم قيادات قبلية ، وتقاليدهم خاصة ولما اعتنق الطوارق الإسلام لعبوا دوراً
هاماً فى نشره كما سبقت الإشارة .

٢ - الفولة (الفولانى) : وهم فى الأصل رعاة - لكن استقرت جماعات
منهم وعملت بالزراعة . وقد استطاع عثمان دان فوديو أن يجمعهم وينشر الإسلام
الصحيح بينهم وأن يكون إمبراطورية إسلامية شاسعة حكمها حتى قضى عليها
الفرنسيون .

٣ - الشعوب السنغالية (الولوف) ، التوكولور ، والسرر ، والجلولة وهم
مجموعه مختلطة من الزنوج ، وقد انتشر الإسلام بينهم منذ القرن الحادى عشر .

٤ - السوننكى : يعيشون على السواحل الغربية للقارة ويتوغلون جنوب
الصحراء الكبرى وقد اعتنقوا الإسلام فى وقت مبكر وساهموا فى نشره فى السودان
الغربى .

٥ - الماندنجو : سيطروا لفترة على المنطقة بين النيجر والمحيط الاطلسى ، وقد
انتشر الإسلام بينهم منذ القرن الرابع عشر ، ومن أشهر زعمائهم سامورى وسنشير
لكفاحه ضد الفرنسيين فيما بعد .

٦ - قبائل الفولتا الشمالية : إتصلت بعض قبائلهم بالمسلمين منذ قرون ، مما أدى لإنتشار الإسلام بينهم ، وقد أسلم عدد كبير من قبائل (الديولا) التى استوطنت ساحل العاج .

٧ - السنغاي : يعيشون فى محاذاه منحنى النيجر - وقد إنتشر الإسلام بينهم عن طريق إحتكاكهم بالطوارق والمغاربة الذين وفدوا عليهم .

٨ - شعوب تشاد : هم عناصر متباينة ، استقروا فى برنو ، وباجرمى ، وواداي - وقد اعتنقوا الإسلام باستثناء بعض الأقليات فى الجنوب .

٩ - شعوب الكانمبو : يعيشون فى كانم شمال شرقى بحيره تشاد - وقد انتشر الإسلام بينهم منذ القرن الثانى عشر .

كما أن بعض القبائل العربية هاجرت من الأنطار النيلية إلى الغرب واستقروا فى برنو ، وكانم ، ونشروا الإسلام بين سكان المناطق التى استقروا بها .

١٠ - شعوب غينيا الغربية : تأثرت إلى حد كبير بالإسلام ، وإن كان بعضهم لازال على وثنيتهم .

١١ - الشعوب النيجيريا : تحول معظم اليوروبا (Yoruba) فى الشمال إلى الإسلام ، وهم يكونون أكبر مجموعة مسلمة متماسكة ، وقد انضموا تحت لواء الحركة الإصلاحية التى قادها عثمان دان فوديو ، وتنتشر لغة الهوسا - وهى لغة حامية - فى شمال نيجيريا بل وفى النيجر - وتُعتبر من أكبر اللغات إنتشاراً بغرب أفريقيا .

* * *

تعرض دول غرب أفريقيا للغزو الإستعماري الأوروبي :

بدأت البرتغال صفحة الإستعمار فى أفريقيا باستيلائها على ميناء سبته المغربى فى عام ١٤١٥م و منذ ذلك التاريخ حاولت البرتغال وغيرها من الدول الأوربية الإستعمارية أتخاذ قواعد لها على الشاطئ الغربى للقارة ثم محاولة التوغل للدأجل ،

وبعد كشف طريق رأس الرجاء الصالح والوصول إلى شرق القارة - تعرضت الإمارات العربية بشرق القارة لمحاولات البرتغال الإستعمارية فاستولوا على ما استطاعوا الإستيلاء عليه - وخرّبوا ما لم يستطيعوا إخضاعه كما شرحنا فى الفصل الأول من هذا الكتاب .

أما فيما يتعلق بغرب أفريقيا - فقد كانت فرنسا بالذات أكثر الدول نشاطاً فى هذه المنطقة من القارة ، وقد بدأ هذا النشاط الفرنسى برحلات من الفرنسيين وصلت إلى نهر السنغال بقصد تأسيس محطات تجارية فى هذه المنطقة ، ومن أهم ما كانت تتجر به هذه المحطات الرقيق^(١) .

على أن توسع فرنسا لمسافات كبيره فى الداخل لم يبدأ إلا فى القرن التاسع عشر - حين شعرت فرنسا بعد الحروب النابوليونية أنها فقدت هيبتها الدولية - فأخذت الملكية العائدة إلى فرنسا تتوسع فى السنغال .

ولما تولى نابليون الثالث - كان يحلم بأفكار عمه الإمبراطور الأكبر الإستعمارية، فأطلق العنان للرواد الفاتحين فتحولت السنغال إلى مستعمرة حقيقية .

كما مدت فرنسا نفوذها فى غرب القارة على مساحات واسعة فكانت ما عُرِف بأفريقيا الغربية الفرنسية (Afrique Occidentale Française A . O . F .) وهى تضم سبع مستعمرات (السنغال ، وغنيا ، والسودان الغربى ، وساحل العاج ، وفولتا العليا ، وداهومى ، والنيجر) .

وقد واجه الفرنسيون فى محاولاتهم لبسط نفوذهم على هذه الجهات شعوباً لها حضارتها ونظمها ، وتقاليدها ، وتعاليمها ، ودياناتها ، وكان الإسلام - كما شرحنا من قبل - قد انتشر فى هذه الجهات وأثر فى حياه سكانها ومعتقداتهم .

! ر

(١) من أوائل الشركات التجارية الفرنسية فى غرب القارة - شركة السنغال الملكية (Royal Sengal Company) وقد برز نشاطها بالذات فى غرب القارة عام ١٦٩٧م فى عهد مديرها اندريه دى بروى (Andre DE Brue) .

ففى تقدمهم من الغرب صوب نهر النيجر إصطدم الفرنسيون بزعيم قبائل التكلور (أحمد وشيخو) ، كما إصطدموا بزعيم الماندنجو (سامورى)^(١) .

واستطاع الفرنسيون أن يحولوا دون تكتل القوتين ضدهم ، وتقدمت القوات الفرنسية بعد ذلك على طول نهر النيجر فاستولت على سيجو ، ثم جنى ، واتجهوا صوب تنبكتو فى عام ١٨٩٣م وحاصروها ، وقد تصدت قبائل الطوارق للفرنسيين وكبدتهم خسائر فادحة - لكن سقطت المدينة فى أيديهم فى عام ١٨٩٤ ، وفى عام ١٨٩٨ - وقع الزعيمان المسلمان أحمد وشيخو ، وسامورى فى قبضة الجيوش الفرنسية ونفيا إلى جابون - وهكذا فُتح الطريق أمام الفرنسيين لمصب نهر النيجر .

وحين تقدمت القوات الفرنسية شرقاً صوب بحيرة تشاد إصطدم الفرنسيون فى تقدمهم صوب السودان بقوات زعيم أفريقى آخر هو (رابح فضل الله) وكان فى الأصل من قواد الزبير باشا رحمت الزعيم السودانى - وعندما استسلم سليمان بن الزبير - بعد سفر الزبير إلى القاهرة - لقوات رومولو جيسى (Romolo Gessi) التى كان قد أرسلها ضده غوردون باشا حكمدار السودان فى ذلك الوقت - رفض رابح فكرة التسليم لجيسى وتقدم غرباً مع اتباعه فى عام ١٨٧٩ واحتل عدة مقاطعات من دارفور ، ثم اتجه نحو باجرمى ، وأخضع سلطنة برنو لنفوذه وكون مملكة قوية واتخذ مدينة (دكوه) جنوب بحيرة تشاد عاصمة له^(٢) .

وكان طبعياً أن تصطدم القوات الفرنسية الزاحفة شرقاً مع هذه القوة السودانية القوية - وقد استطاع رابح أن يوقع الهزيمة بالفرنسيين فى أكثر من معركة - لكن

(١) للتفاصيل عن جهاد سامورى ضد الفرنسيين يرجع إلى :

نصر رشوان : دولة سامورى فى غزب أفريقيا ١٨٧٢ - ١٨٩٨ (رسالة دكتوراه غير منشورة - معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ١٩٧٩ - بإشراف د . شوقى الجمل) .

(٢) للمزيد من التفاصيل عن حركة رابح فضل الله يرجع إلى :

حسن منيسى : رابح فضل الله ودوره فى مقاومة الاستعمار

(رسالة ماجستير : من معهد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة ١٩٩٢ ،

بإشراف د . شوقى الجمل) .

انتهى الأمر بإرسال عدة حملات فرنسية من الجزائر ، والكنغو الفرنسي وغيرهما - استطاعت أن توقع الهزيمة بقوات رابح بالقرب من بحيره تشاد وقتل رابح فى المعركة ، كما قُتل فى نفس المعركة القائد الفرنسى لامى (Lamey) .

وظلت القوات الفرنسية فى باجرمى بعد ذلك تُحارب أولاد رابح وأتباعه حتى عام ١٩٠٢م حين نجح الفرنسيون فى أن يسيطروا على المناطق المجاورة لبورنو .

على أن فرنسا لم تكن الدولة الأوربية الوحيدة التى عمدت لمد نفوذها لغرب أفريقيا فقد نجحت إنجلترا أيضاً فى مد نفوذها الإستعمارى إلى غمبيا ، وسيراليون ، وساحل الذهب (غانه) ، ونيجيريا .

ولقيت إنجلترا مقاومه عنيفه من القبائل الصحراوية ومن المسلمين خاصة فى كانو ، وسوكتو لكنها استطاعت إخضاع القبائل الثائرة - وفى أول يناير ١٩٧٤م أصبحت نيجيريا محمية بريطانية واحدة وأصبح فردريك لوجارد (Sir Fredirrick Lugard) حاكماً عاماً لها^(١) .

* * *

هكذا وقفت الشخصيات الوطنية والإسلامية فى غرب القاره فى وجه المستعمرين الأوربيين وإن كانت هذه الحركات الوطنية لم تستطع أن تحول دون سقوط هذه البلاد فى غرب القارة - فى يد المستعمر الأوربى - لكنها بلاشك أعطت مثلاً للتضحية والفداء فى سبيل الوطن ، وظل الأفارقة يترقبون الفرصة لمعاودة الكفاح ضد المستعمر حتى نجحت الحركات الوطنية فى هذه البلاد فى أن تحقق أهدافها فى أعقاب الحرب العظمى الثانية - وكان عام ١٩٦٠م هو عام أفريقيا بحق إذا استقلت فيه عدة دول فى غرب القارة وفى شرقها ووسطها - واضطر المستعمر أن يحمل عصاه عن هذه البلاد ويرحل .

* * *

(١) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى :

Burns , Alan : History of Nigeria (London 1955) .

الفصل الخامس

الأثار التي ترتبت على

انتشار الإسلام فى أفريقيا

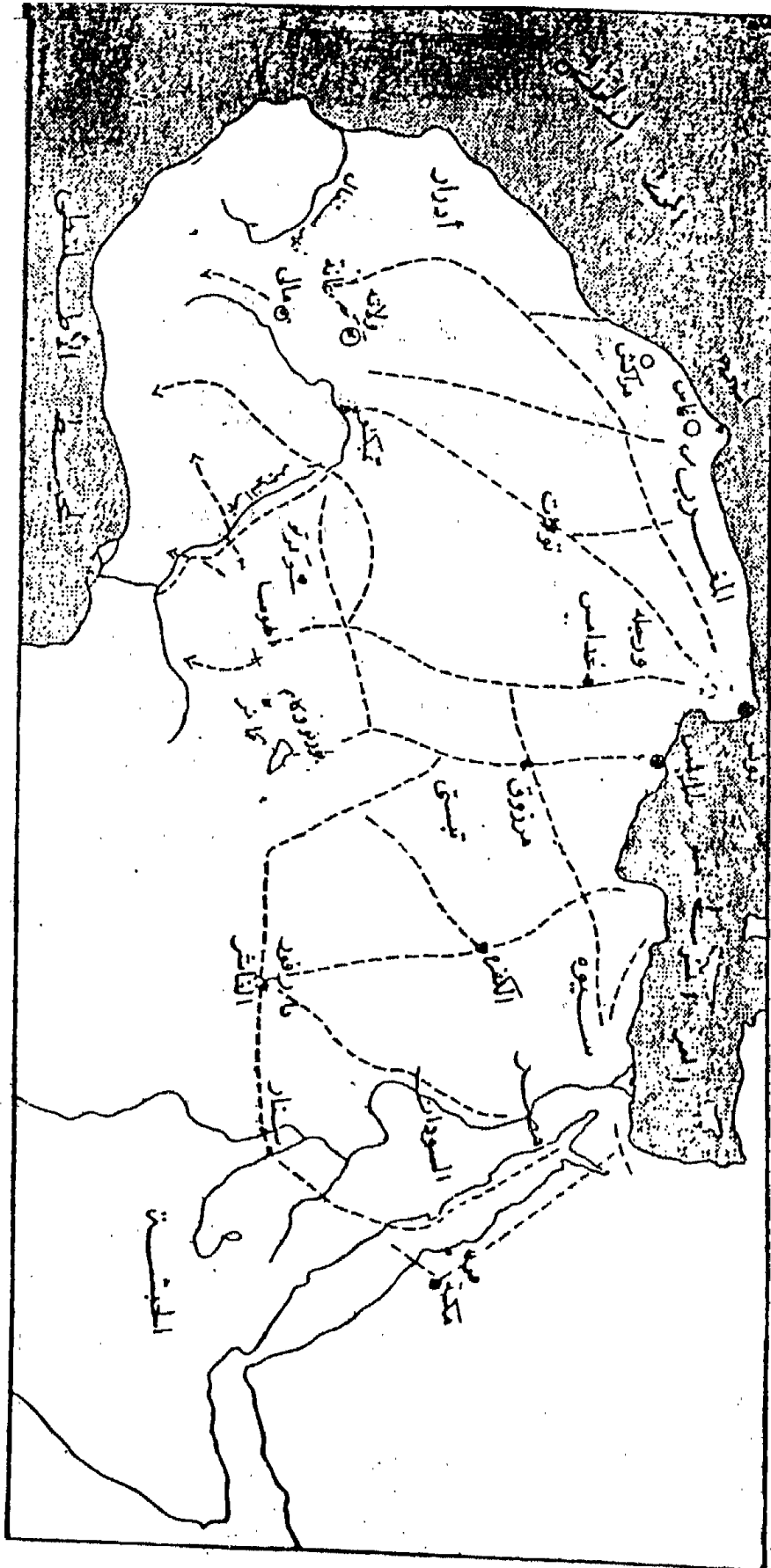
الدول الحضارى للإسلام فى شريه أفريقيا :

انتشر الإسلام - كما رأينا - فى شرق القارة الأفريقية ، وفى مصر ، وشمال أفريقيا ، وإمتد التيار الإسلامى إلى بلاد النوبة والسودان ، وإلى مناطق من وسط القارة وجنوبها ، كما إمتد إلى غرب القاره - بحيث أصبح أكثر من نصف سكان القارة يدينون بالإسلام .

وترتبت على إنتشار الإسلام فى هذه الجهات نتائج عميقة فى المجتمعات التى انتشر فيها ، وفى سلوك الناس ، ومعاملاتهم ، وفى ثقافتهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض الآخر ، وقامت فى هذه المناطق التى إستوطنها المسلمون وحدات سياسية وحكومات لها أنظمتها ، وحاولت هذه الحكومات أن تطبق مبادئ الشريعة الإسلامية ، ولما حدث إنحراف فى بعض هذه الحكومات والشعوب عن التعاليم الأساسية ، للإسلام ظهر مصلحون حاولوا اصلاح حال المسلمين ومحاربة البدع بالطرق السلمية حيناً وبالحرث والقتال حيناً آخر .

وقد نوه الرحالة العرب والأوربيون أيضاً الذين زاروا هذه البلاد التى انتشر فيها الإسلام بالدور الذى لعبه المسلمون فى حياة هذه المجتمعات التى إستقروا فيها .
ففى شرق القارة حيث قامت الإمارات العربية على الساحل تحدث ابن بطوطه - الذى قام بثلاث رحلات هامة فى الفترة (١٣٢٥ - ١٣٥٤)^(١) - بعد رحلته الثانية التى زار فيها سواكن ، وزيلع . ، ومقديشو ، وكلوه وغيرها من بلاد شرق أفريقيا - عما رآه من مظاهر الحضارة فى هذه الجهات التى زارها .

(١) انظر كتابه « تحفة النظر فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » (طبعة بولاق ١٩٣٤م) .



سبل الاتصال بين شمال إفريقيا ودول غربي إفريقيا .

(شكل رقم ٧)

وأشار إلى أن المسلمين فى هذه الجهات لم ينسوا تقاليدهم العربية وما اعتادوا عليه من اكرام الضيف وذكر إنه عند قدوم أية سفينة إلى الشاطئ يهرع إليها رجال القبائل حيث يتقابلون مع القادمين الغرباء ويستقبلونهم فى منازلهم ، فكبار القوم ورجال الدين وغيرهم ممن لهم مكانة فى مجتمعاتهم يتزلون فى ضيافة قاضى المدينة أو غيره كل حسب مكانته .

وحين وصل البرتغال وغيرهم من الأوربيين بعدهم إلى شرق أفريقيا لمسوا كما يقول (كويلاند) مجتمعاً متحضراً لا يقل عن المجتمعات الأوربية .

وقد شهد فاسكوداجاما الذى قام برحلته الشهيرة إلى شرق أفريقيا - الناس يرتدون الملابس الحريرية الموشاة بالذهب ، وسيوفهم وخناجرهم مرصعة بالفضة ، كما شاهد فى مقديشو المنازل العالية من عدة أدوار ، والقصور فى وسط المدينة ، وفى مالندى أستقبلت بعثته (بعثة داجاما) فى قصر مفروش بالسجاد ومفروش بأفخر الأثاث .

وشهد دوار بربوسا (Duarte Barbosa) نفس الشهاده عند زيارته كلوه ، ومبسه ، ومالندى ، ومبجا ، وزنجبار .

وقد أشرنا إلى تعليق كويلاند على هذه المشاهدات بقوله « إتنا يجب إلا نندهش لما ذكره هؤلاء الرحالة عن مظاهر الحضارة التى نقلها العرب لشرق أفريقيا ، فإن العرب كانوا فى ذلك الوقت حملة لواء الحضارة - فمدارس بغداد والقاهرة وتونس كانت حتى القرن الثالث عشر تفوق تلك التى فى أكسفورد أو اية مدينة مسيحية أخرى » (١) .

وحين استطاع الرحالة - ستانلى - الذى كان يعمل لحساب الملك ليوبولد ملك بلجيكا - أن يوطد أقدام الملك البلجيكي فيما عُرف فيما بعد بدولة الكونغو الحرة (Congo Free State) والتى إعتترف مؤتمر برلين ١٨٨٤ / ١٨٨٥ للملك البلجيكي وشركته بحق إداراتها - اتجهت أنظاره للمنطقة بين بحيرة تنجانيقا وشلالات

ستانلى حيث كان العرب الذين قدموا من الشرق من (زنجبار) قد وصلوا إلى أعالي الكونغو - وسيطروا على هذه المنطقة ، وكان على رأسهم حميد بن محمد المرجبى الذى اشتهر باسم تبوتيب والذى نجح فى تكوين دولة عربية فى هذه المناطق عاصمتها كاسونجو Kasongo ظل يحكمها حتى سنة ١٨٩٠ وخلفه ابنه سيفو (Sefu) .

وقد ذكر الكتاب البلجيكيون الذين زاروا عاصمة هذه الدولة - إنها بلغت درجة كبيرة من التقدم ، وكانت بها قصور موشة بأفخر الأثاث ، كما كانت بها المساجد والمدارس العربية - يتعلم فيها الطلاب القرآن الكريم ، وبعض علوم الدين والحساب ، وكانت هذه الدولة العربية على اتصال بزنجبار بالطريق المباشر عبر أوجيجى وكذلك بطرق أخرى^(١) .

وقد اطنب الكاتب (Hinde) فى وصف كاسونجو عاصمة هذه الدولة العربية الإسلامية بعد سقوطها فى ١٧ أبريل سنة ١٨٩٠م فى يد قوات دولة الكونغو فذكر «إنه حتى الأفراد العاديين فى هذه المدينة ينامون على أسرة مغطاة بالحرير ، ومزودة كل منها بكلة (ناموسية) كما توجد الستائر ، وكانت المنازل محاطة بحدائق البرتقال والموز وغيرها من الفاكهة ، كما وجدت بالمدينة كميات كبيرة من الأرز ، والذرة ، والصابون والأطعمة بالإضافة إلى الكماليات - مما ذكرت أفراد القوات الغازية بما تركوه فى أوربا » ، وذكر « إن كل منزل ملحق به حمام ، وأن المدينة ذاتها - كانت مقامه على حافة غابة أزيلت أشجارها ليزرع مكانها قصب السكر ، والذرة ، والأرز ، والفواكه »^(٢) .

أما زنجبار - فقد ازدهرت فيها الحضارة وقد دُهِش فاسكو داجاما حين زارها فى عام ١٤٩٩ من الرواج الذى لمسه فى أسواقها - فقد ذكر إن أهلها على قدر كبير من التحضر ويتجرون فى درقات السلاحف ، والعنبر ، والعاج ، والشمع ، والعسل ، والأرز ، وكانوا يلبسون الأقمشة الحريرية، والقطنى ، وتكثر بها الماشية والأخشاب ،

(١) Hinde , Sidney Langford :The fall of the Congo Arabs (London 1897) p . 17 .

(٢) Davidson , Basil : The Growth of Central Africa's Civilisation (London 1973) p . p . 100 - 101 .

وكان بالعاصمة مسجد قديم منقوش فوق محرابه بالخط الكوفي تاريخ بنائه وهو يوم الاحد ذى القعدة عام ٥٠٠هـ / ١١٠٧م^(١) .

والحقيقة إن دراسة الأوضاع التى كانت عليها المدن والإمارات العربية بشرق أفريقيا قبيل مجيئ البرتغال تُعطى صورة مشرقة لما كانت عليه هذه المدن التجارية من إزدهار وتحضر ، وكيف كانت المعاملات التجارية تجرى بالأمانة والثقة ، وكيف كان المسلمون بهذه المدن والموانئ يتمسكون بدقة بتقاليد الإسلام ، ويحافظون على أداء الصلاة فى أوقاتها ويحرصون على النظافة التى حث عليها الإسلام^(٢) .

وقد كانت اللغة العربية هى لغة التفاهم بين الأفراد فى المدن والمراكز العربية بشرق القارة ، وقد ترتب على الاختلاط والاحتكاك بين العرب والأفارقة - نشر اللغة السواحيلية وهى خليط من اللغات الأفريقية التى كانت سائدة بين الأفارقة وبين اللغة العربية التى أصبحت معرفتها ضرورية للذين اعتنقوا الإسلام من سكان السواحل وما وراءها باعتبارها لغة القرآن والصلاة .

واللغة السواحيلية المنتشرة بين سكان الساحل الشرقى الأفريقى - هى نتيجة التفاعل بين اللغة العربية واللغة الأفريقية التى كانت سائدة بهذه السواحل^(٣) .

أما عن مصر - فبعد الفتح الإسلامى فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب - تدفقت القبائل العربية عليها واختلطوا بالمصريين ، وقد دخل عدد كبير منهم فى الإسلام ، وكانت لسياسة التسامح ومبادئ المساواة وغيرها من المبادئ التى نادى بها الإسلام - أثرها فى انتشار الإسلام بين قبط مصر ، وقد أتى لمصر عدد من الصحابة حيث بنوا بيوتهم بمدينة الفسطاط التى أسسها عمرو بن العاص والتى ظلت قاعده الديار المصرية ، ومقراً للإمارة حتى بُنيت العسكر، وقد انتشرت اللغة العربية فى مصر -

(١) صلاح العقاد ، جمال زكريا : زنجبار (القاهرة ١٩٥٩) ص ٢٨٥ .

! - (٢) شوقى الجمل : دور العرب الحضارى فى شرق أفريقيا - مجلة الوثيقة - العدد الثالث عشر - السنة السابعة (البحرين ، نوفمبر ١٩٨٨ م) .

(٣) للمزيد من المعلومات عن الثقافة العربية يرجع إلى :

راجيه محمد عفت : الثقافة العربية فى شرق أفريقيا ، رسالة دكتوراه غير منشورة من معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، (بجامعة القاهرة ، ١٩٨٠م) .

حتى أصبحت لغة العامة والخاصة حتى أن الكثير من الطقوس الدينية فى الكنائس القبطية فى مصر أصبحت تؤدى باللغة العربية .

ولما تم بناء الأزهر فى ١٧ من رمضان سنة ٣٦١هـ (٢٢ يونيه سنة ٩٧٢م) وبدأ نشاطه - أصبح منارة ثقافية تقوم بنصيب كبير فى الحركة العلمية فقد إستجلب الفاطميون للأزهر خيرة فقهاء وعلماء الشيعة وقضااتها ، ونقلوا إليه كثيراً من الكتب من مختلف الخزائن ، وشجعوا طلاب العلم من البلاد الإسلامية الأخرى للإلتحاق به^(١) .

وقد تطور نظام التعليم فى الأزهر وصدرت عدة قوانين للإصلاح . وكثر عدد الوافدين للأزهر من البلدان العربية والأقطار الأفريقية الأخرى ، خاصة بعد إنشاء مدينة البعوث الإسلامية - كما اهتم الأزهر بإرسال مبعوثين من رجاله للدول الأفريقية بالإضافة إلى دعم المراكز الإسلامية فى هذه الدول^(١) .

وانتشرت الثقافة والحضارة العربية فى بلاد النوبة مع إنتشار الدين الإسلامى خاصة بعد أن قضى العرب على مملكتى النوبة المسيحيتين كما أشرنا من قبل .

وبانتشار العرب فى السودان - انتشرت اللغة العربية ، والثقافة العربية الإسلامية - ولسنا بحاجة لأن نشرح أهمية هذا التطور الخطير فى تاريخ السودان - أن أصبح السودان أمة عربية إسلامية .

ومنذ أوائل القرن الرابع عشر بدأ بعض العلماء المسلمين يفدون للسودان ، ويستقرون فيه ويعمرون المساجد ويعلمون أهله مختلف علوم اللغة والدين .

نذكر من هؤلاء (غلام الله بن عابد اليمنى) الذى رحل إلى دنقله فى النصف الأول من القرن الرابع عشر ، وكان يُعَلِّم أولاد المسلمين القرآن والعلوم الأخرى :

وهكذا بدأت تظهر طبقة من الفقهاء ورجال الدين تحمل على بذور الثقافة

(١) للمزيد من التفاصيل عن دور الأزهر فى أفريقيا يرجع إلى :

- شوقى الجمل : الأزهر ودوره السياسى والحضارى فى أفريقيا ١٩٨٨م .
- عبد العزيز محمد الشنارى : الأزهر جامعا وجامعة جزاء (١٩٨٠ - ١٩٨٤) .

الإسلامية ، والتقاليد الإسلامية بين سكان شمال السودان ، وقد انتشرت مراكز تعليم القرآن واللغة والحديث خاصة فى المنطقة الممتدة من دنقلة شمالاً إلى أريجى فى الجنوب ، وقد كان سكان الحلة التى بها المسجد يستضيفون الطلبة الغرباء فى بيوتهم ليقيموا فيها طاعمين كاسين^(١) .

ولما قامت فى السودان سلطنات ومشىخات عربية سودانية - قبل إمتداد سلطان محمد على للسودان - انتشرت فى هذه السلطنات والمشىخات اللغة العربية والعادات والتقاليد الإسلامية .

وقد برزت أسماء شخصيات - غير غلام الله بن عابد اليمنى الذى أشرنا إليه - قامت بتعمير المساجد وقراءة القرآن ونشر الثقافة الإسلامية فى السودان . نذكر من هؤلاء (أولاد عون الله السبعة) - والشيخ البندارى ، والشيخ حمد ود رزوق ، والشيخ إدريس الأرباب^(٢) .

كما ظهر فى منطقة النيل الأبيض الشيخ محمود العركى^(٣) الذى جاء من مصر ونشر تعاليم الإسلام فى سنار وأنشاء سبع عشرة مدرسة فى المنطقة بين الحسانيه والكوة . ويمثل النصف الثانى من القرن العاشر الهجرى (السادس عشر الميلادى) ازدهار الثقافة الإسلامية فى السودان - إذ أخذ حملة مشاعل العلم والدين يفدون للسودان من مصر ومن غيرها من الأقطار العربية ليقوموا بواجبهم نحو تثقيف السودانيين وتوجيههم إلى تعاليم دينهم .

وقد انتشر المذهب المالكى فى السودان على يد إبراهيم ، ومحمد القناوى المصرى - وهما ممن تعلموا فى الأزهر ، كما وقد بعد ذلك شيوخ نشروا المذهب الشافعى مثل الشيخ محمد بن على القرم .

(١) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية فى أفريقية ، مرجع سابق، ص ٣٤١ .

(٢) للمزيد يرجع إلى :

ود ضيف الله : طبقات ود ضيف الله فى أولياء وصالحين وعلماء وشعراء السودان .

(٣) العركى : أصله عراقى ، وقد تعلم فى الأزهر الشريف فى الفترة ما بين ٩٣٥ ،

٩٤٠ هـ وهاجر للسودان حيث نشر الثقافة الإسلامية فى نطاق النيل الأبيض .

كما وفد للسودان بعض دعاة التصوف ، وقد إنتشرت المساجد والمعاهد العلمية فى مختلف أرجاء السودان الشمالى .

وقد كانت المساجد والخلاوى هى المراكز الأساسية للتعليم ولتحفيظ القرآن إلى أن أمتدت الادارة المصرية إلى السودان - فأهتمت هذه الإدارة بأن تختار عدداً من أبناء الجهات التى أمتد إليها النفوذ المصرى - وترسلهم إلى المدارس المصرية لتلقى العلم هناك - ثم انتقلت مصر خطوة أخرى بنقل تجربة التعليم الحديث إلى ميدان السودان- فبدأت بفتح المدارس فى الخرطوم وغيرها من مدن السودان - واتسع أفق هذه التجربة فى عهد اسماعيل فأفتتحت المدارس فى مختلف مدن السودان والمناطق التى إمتدت إليها الإدارة المصرية فى شرق السودان وغربه وجنوبه^(١) .

على أننا نُشير بالذات إلى الوضع فى المديرية الإستوائية وجنوب السودان - فعلى الرغم من أن إمتداد الإدارة المصرية إلى هذه الجهات - فتح المجال أكثر أمام الهجرات العربية إلى الجنوب وقد إمتدت آثار العرب والثقافة العربية الإسلامية إلى هذه المناطق - فإن الإهتمام قد ركز بالذات على إنشاء ما يُشبه الورش لسد حاجة الإدارة الجديدة من الصناعات وخلافهم من المديرين على أنواع معينة من الخبرة كالنجارة، والحدادة ، وصنع السفن والصناعات الجلدية ، وقد أشار لذلك الرحالة الدكتور يونكر^(٢) .

كما أن المديرية الاستوائية بصفة خاصة شهدت ظاهره معينة وهى تولى الاحانب إداراتها - وقد ولى أمرها صموئيل بيكر ثم خلفه غوردون ثم براوت ، فاككتور ادوارد شتزر هذا بالإضافة إلى كثرة عدد الأجانب الذين وفدوا عليها .

والحقيقة إنه كان على الإدارة المصرية أن تدرك أهمية التركيز على نشر الدين الإسلامى والحضاره الإسلامية واللغة العربية فى الجنوب مهما حال دون ذلك من

(١) عبد العزيز عبد الحميد : التربية فى السودان ، والأسس النفسية والاجتماعية التى قامت عليها ٣ أجزاء (القاهرة ١٩٤٩ م) .

(٢) Junker : Travels in Africa Vol . 111 (London 1890) p . 364 .

عقبات ، فقد كان ذلك كفيلاً بانتشار تيار الإسلام والعروبه إلى الجنوب - لكن الأمر ترك للنشاط الأجنبي ، وفي عهد الإدارة الثنائية للسودان - أصبح الجنوب مسرحاً لنشاط الجمعيات التبشيرية ، وقد شجعت الإدارة الانجليزية هذا الاتجاه - ولعل هذا من الأسباب المسئولة عن تطور مشكلة جنوب السودان .

وحين إمتد النفوذ المصري إلى أوغنده في أواخر عهد أسماعيل - طلب أمتييه ملك أوغنده إرسال من يرشده إلى تعاليم الدين الإسلامي - وقد بادرت مصر بإرسال إثنين من الفقهاء لتحقيق ذلك - وقد جاء في الأمر الصادر من الخديوى بهذا الشأن بما أن هذه البلاد بعيدة ومتسعة ، ونشر الدين القويم فيها مبتدئ - فقد تعين إثنان من الفقهاء ذوى العقل والمعرفه ، والإرادة فى تألف قلوب الأهالى وتعليمهم بغاية اللطف قواعد الديانه الإسلامية ومحسناتها^(١) .

لكن انجلترا بالذات عوقت تحقيق هذا الأمر حين أخذت تعمل على مد نفوذها إلى هذه المناطق الهامة المرتبطة بمنابع النيل ، وحين أصدرت القوانين للفصل بين شمال السودان وجنوبه والحد من حرية إنتقال الشماليين للجنوب .

عزب القارة وانتقال الحضارة الإسلامية إليه :

إذا انتقلنا إلى غرب القاره - نجد أن المناطق الشاسعة من غرب القارة التى امتد إليها الإسلام - تأثرت بالحضارة الإسلامية والعربية والمبادئ التى نادى بها الدين الحنيف - وكان لذلك أثره فى التطور السياسى والإقتصادى والإجتماعى بهذه المناطق .

فالإسلام لم يكن ديناً فحسب بل ثقافة وتنظيماً إجتماعياً واقتصادياً - ولم يهدف لهدم المجتمع القديم بمقوماته بل تطويعه للدين الجديد وتعاليمه . وقد ظهر فى هذه المناطق الأفريقية علماء وفقهاء - كما ذكرنا - تركوا لنا ثروة علمية وفقهية فى مختلف مجالات العلوم الإسلامية والإنسانية - ولعل القرنين الرابع والخامس الهجريين يمثلان القمه فى الثقافة العربية فى هذه البلاد .

(١) دفتر ١٨ عابدين-صادر تلغرافات عربى شفره ص ٣ ، فى ٢١ ربيع الأول ١٢٩٤هـ .

وقد قامت فى غرب أفريقيا فى ظل الإسلام مراكز حضارية استقطبت الكثيرين من علماء العالم الإسلامى وطلاب العلم والمعرفة^(١) .

وانتشار الإسلام فى هذه الجهات كان معناه أيضاً لانتشار اللغة العربية كلغة للحديث والمعاملات التجارية والكتابة خاصة بعد أن أجمع أغلب أئمة المسلمين بعدم جواز ترجمة القرآن الكريم ، وعدم جواز قراءته بغير العربية ، ووجوب الصلاة بها ، فكان لابد لمن يريد معرفة أسرار الدين أن يتعلم اللغة العربية ويتقنها .

وقد إرتبط إزدهار الثقافة الإسلامية العربية فى غرب أفريقيا - كما ذكرنا سابقاً- بانتشار الطرق الصوفية خاصة التيجانية والقادرية ، وما إنبتق منهما من طرق فرعية أخرى ، وقد لعبت هذه الطرق وأتباعها دوراً كبيراً فى نشر الثقافة الإسلامية فى هذه الجهات ، وفى مقاومة الاستعمار الأوروبى عندما تعرضت البلاد للغزو الإستعمارى الذى إندفع إلى المنطقة طامعاً فى ثرواتها ومتسلحاً بما أمدته به النهضة الأوربية من أسلحة مكنته من إختراق المناطق المجهولة .

وصاحب انتشار الإسلام فى غرب أفريقيا - ظهور طبقة واعية من المصلحين الذين سعوا لمحاربة البدع والعادات السيئة التى كانت منتشرة بين الناس ، ولما تسربت بعض هذه البدع للمجتمعات الإسلامية بغرب أفريقيا هرع المصلحون للدعوة لتطهير المجتمع الإسلامى مما شابه مما لا يتفق ومبادئ الإسلام .

وقد قامت فى غرب أفريقيا - كما رأينا - ممالك (إمبراطوريات) إسلامية كبرى لها مكانتها ، ولها حضارتها فى غانا ، ومالى ، وسنغى ، ويرانو ، وكانم .

وقد تأثر حكام هذه البلاد الإسلامية بما شاهدوه أو سمعوا عنه فى البلاد الإسلامية الأخرى وحاولوا أن ينقلوا لبلادهم بعض الأنماط الحضارية التى كانت فى البلاد الإسلامية فى المشرق والمغرب العربى .

(١) أشار الدكتور عبد الرحمن زكى إلى العديد من المؤلفات العربية لعلماء وفقهاء غرب إفريقيا ، ومعظمها مخطوطات محفوظة فى مكتبة إيبادان بنيجيريا - انظر : عبد الرحمن زكى : المراجع العربية فى غرب أفريقية (١٩٦٨ م) .

وتعطينا المراجع التاريخية أمثلة عديدة لذلك منها مثلاً ما يذكر عن زيارة وفد مالي للمغرب في عام ١٣٤١م في عصر السلطان أبي الحسن المريني (١٣٣٠ - ١٣٥١م) بهدف تقوية العلاقات بين المغرب ومالي - وعندما انتهت زيارة الوفد للمغرب - جمع السلطان المالي عدداً من مهرة الصناعات والفقهاء للتوجه إلى مالي والمساهمة في النهضة العمرانية والحضارية بها :

وكان على رأس تلك البعثة المعمارى (أبو إسحق الطويجن) الذى أشرف على بناء مسجد وقصر للملك المالي ، وقد أسهمت هذه البعثة المغربية في الحركة العمرانية والعلمية في هذه البلاد وأجيزت على نشاطها هذا بأثنى عشر ألف مثقال من الذهب^(١) .

وقد رأينا سابقاً أن الملوك ، والأفراد من أهالي غرب أفريقيا - بعد أن اعتنقوا الإسلام كانوا حريصين على أن يؤدوا فريضة الحج - حين يُتاح لهم ذلك ، وقد أشرنا إلى وفد الحجاج الذى كان على رأسه منسى موسى سلطان مالي (٧٢٤هـ - ١٣٣٢م) والذى قيل إنه كان يضم أكثر من عشرة آلاف حاج .

وترتب على تشجيع حكام الممالك الإسلامية بغرب أفريقيا - للعلماء ورجال الدين - أن توافد على هذه البلاد عدد منهم من مختلف الأقطار الإسلامية من لشرق والمغرب - وقد أغدق عليهم السلاطين المال وشجعوهم على الإقامة ببلادهم شقيف الناس وإرشادهم في شئون دينهم .

وقد أشار ابن بطوطه إلى ذلك ، ومن طريف ما ذكره إنه ثناء إقامته بمدينة

(١) للدراسة التفصيلية انظر :

أبو العباس أحمد بن محمد الخضرى : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر
يرها لسان الدين الخطيب (بولاق ، ١٨٦٢م) .

- وكذلك . (Niam Djibril : L'Empire De Mali (Conakry 1948)

والمؤلف غنى فكتابته لها أهميتها باعتباره من الأفارقة القلائل الذين كتبوا عن تاريخ
دمهم .

(مالى) أُصيب بمرض حاد فى معدته نتيجة أكله عصيدة مصنوعة من نبات يشبه القلقاس فأسعفه طبيب مصرى قدم له دواءً مسهلاً يُسمى بيدر^(١) .

كذلك اشتهر عن السلطان أسكيا محمد سلطان مالى (١٤٩٣ - ١٥٢٨) تشجيعه للعلماء وترحيبه بمن وفد منهم من البلاد الإسلامية الأخرى ، فحضر عدد منهم وأقاموا فى غاؤ ، وجنى ، وتنكتو ، فكان وجودهم بهذه البلاد سبباً فى نهضة ثقافية شملت البلاد فى القرنين السادس عشر ، والسابع عشر ، وفضلهم أصبحت اللغة العربية لغة البلاد الرسمية^(٢) .

وحين أدى أسكيا محمد سلطان مالى - فريضة الحج كان بصحبته المؤرخ محمد كعت ومر بمصر وتعرف على العالم المصرى جلال الدين السيوطى ، وكان من أهم رجال العلم فى زمانه العالم الفقيه (عبد الكريم ابن محمد المغيلى التلمسانى) الذى عاش فترة غير قصيرة فى تنبكتو التى كانت من أهم المراكز الإسلامية بغرب أفريقية ، وكانت تجارة الكتب رائجة فيها كما إشتهرت بوجود العديد من المخطوطات النادرة فى مكتباتها ، كما وجد فيها نساخ متخصصون فى نسخ أصول المصادر الهامة ، كما إشتهرت بوجود خزانة عامة للكتب بها كان يستعين بها أهل العلم والأدب فى بحوثهم^(٣) .

ومن المراكز الإسلامية الأخرى التى برزت فى السودان الغربى مدينة (جنى) وهى تقع على مسافة مائتى ميل إلى الجنوب الغربى من تنبكتو - ورغم أنها أسست

(١) ابن بطوطة ج٤ ص ٢٩٧ .

(٢) أشار المؤرخ الفرنسى دييوا بما فى مكتبة تنبكتو فى القرن السادس عشر بالذات من مصادر - وذكر إنها كانت حاضره ثقافية على صلة بغيرها من العواصم فى العالم العربى مثل فاس فى المغرب ، والقيروان فى تونس ، وقرطبة فى الأندلس ، والقاهرة فى مصر ، وذكر أن الكثيرين من علمائها رحلوا إلى فاس وإلى مصر واتصلوا بعلمائها .

وأشار بالذات إلى شهرة معهد سنكورى بتنبكتو ، وذكر إن له مكانة كالأزهر والقيروان وغيرهما من معاهد العلم فى العالم العربى .

(٣) نعيم قداح : أفريقيا العربية فى ظل الإسلام (دمشق ١٩٦٠م) ص ٤١ .

قبل تنبكتو بوقت بعيد - لم تدخل فى دائرة النفوذ الإسلامى إلا منذ القرن الخامس الهجرى حين أسلم أميرها فى عام ١٠٥٠ م ، وبنى مسجدها العتيق على نظام المسجد الحرام بمكة .

وقد بلغت درجة كبيرة من التقدم والإزدهار فى ظل الحضارة الإسلامية ، وذلك فى المجالين العلمى والاقتصادى - وقد ازدهرت فيها تجارة الملح والتبر وأصبحت من أهم أسواق قبائل الفولة ، والدلوف ، والبركولة ، والتكرور .

وقد عبر السعدى عن ذلك بقوله « إنها سوق عظيمة من أسواق المسلمين يلتقى بها تجار الملح ، وتجار الذهب ، وكانت مركزاً ثقافياً » (١) .

وقد ذكر إنه كان بها أكثر من أربعة آلاف من المشتغلين بالعلم ، وأشار إلى بعض علمائها مثل الفقيه (فودى محمد سافو الونكرى) والقاضى (العباس كنت الجندى) وكان فقيهاً وعالماً ، والقاضى (محمود بن أبى بكر بغيغ) والد العالمين الفقيه محمد بغيغ ، والفقيه أحمد بغيغ (٢) .

ومن المدن الإسلامية الهامة الأخرى التى برزت فى السودان الغربى مدينة (كانو)، وقد برزت بالذات بعد أن رحل إليها بعض علماء تنبكتو بعد أن إضمحل شأن تنبكتو ، وقد أسست فى كانو مدرسة للعلوم ، ومدرسة للقضاء الشرعى داعت شهرتها (٣) .

أما مدينة (كاشنه) فقد اجتذبت عددا كبيرا من العلماء ، وقد أقام بها الإمام المغيلى زمناً طويلاً ، يعلم الناس ويرشدهم ويفصل فى الخصومات بينهم ، كما أن بعض المراجع تشير إلى أن جلال الدين السيوطى رحل إلى شمال نيجيريا وأقام فى كاشنه زمناً يعلم ويرشد الناس ويفقههم فى الدين ثم عاد لمصر ثانية فى عام ٨٧٦هـ / ١٤٨١م .

(١) السعدى : مرجع سابق ص ٣٤ ، ٣٧ ، ٣٩

(٢) نفس المرجع ص ١١ .

(٣) Meek , C . K . : The Northern Tribes of Nigeria (London 1925)

Vol . 1p. 61 .

هكذا انتشر الإسلام فى غرب أفريقيا - ودخلت الحضارة العربية بل والثقافة
بمعناها الواسع فى أثره^(١) .

وقد انتقل إلى غرب أفريقيا - كما رأينا علماء من الأقطار العربية الأخرى ،
ونشأت مدن اشتهرت بطابعها الثقافى والحضارى .

والحقيقة إنه لو استمرت الحركة الثقافية الإسلامية فى طريقها فى غرب أفريقيا
دون أن تصطدم بالاستعمار الأوروبى لحققت أكثر من هذا ، ولقضت على بقايا ما كان
بهذه المجتمعات من آثار وثنية .

فترمنجهام مثلاً يشير إلى الثنائية التى تتضح فى مجتمعات غرب أفريقيا ، فهناك
نظم إسلامية صرفه إلى جانب تقاليد ترجع إلى ما قبل الإسلام^(٢) .

لكن لاشك فى أن الإسلام كانت - وما زالت له آثاره القوية فى مجتمعات
غرب أفريقيا - وكان له أثره العميق خاصة أن الافارقة وجدوا أن هذا الدين يدعو
للمساواة والقضاء على التفرقة والعبودية ، الكل سواسية - ولن يتميز أحد عن غيره
إلا بالتقوى .

وقد سبقت الإشارة إلى أثر الفن المغربى وغيره من الفنون العربية - فى فنون
غرب أفريقيا - شاهدنا ذلك فى المساجد وقصور الأمراء والحكام - فقد ساهم المهندس
إبراهيم الساحلى فى بناء مسجد (جانكور) فى تنبكتو ، ومسجد غاؤ ، ومسجد
العاصمة (ينانى) ، وقصر السلطان بها ، وقد ذكر إنه كانت به قاعة كبيرة على
النظام المغربى .

وقد وصف ابن بطوطة هذه القاعة عند زيارته للعاصمة عام ١٣٥٣ ، أما مسجد
جنى فهو من تصميم المهندس (إدريس المراكشى)^(٣) .

(١) Deschamps , H . : Les Religions de L ' Afrique Noir (1945) p . 127 .

(٢) Trimingham , S . : Islam In West Africa pp . 124.

(٣) نعيم قداح : مرجع سابق ص ١٥٤ - ١٦٠ .

هكذا كان للإسلام أثره القوي في المجتمعات الأفريقية التي انتشر بها ، كما كان للثقافة العربية ، والفن أثرهما على هذه المجتمعات .

ولا شك في أن الحياة الثقافية والاجتماعية وعادات الناس وتقاليدهم ومعاملاتهم ونظم حياتهم المختلفة في البلاد التي انتشر بها الإسلام في شرق القارة وشمالها وغربها وجنوبها قد تأثرت تأثيراً قوياً بمبادئ الإسلام وتعاليمه .

* * *

الفصل السادس

المشكلات التي يواجهها المسلمون في أفريقيا

انتشر الإسلام - كما رأينا - في معظم أنحاء القارة الإفريقية عبر طرق متعددة، ودخل في الدين الإسلامى أكثر من نصف سكان القارة .

وقد تتبعنا في الفصول السابقة تاريخ المسلمين في القارة على مر العصور منذ أن أشرق نور الإسلام وانتقل من شبه الجزيرة العربية - مهد الإسلام - إلى سواحل أفريقيا ثم توغل في الداخل إلى اليوم .

وكما رأينا أصبحت أقطار أفريقية عديدة تدين بالإسلام - فهو دينها الرسمى - بينما توجد أقليات إسلامية في أقطار أفريقية أخرى .

وقد واجه الإسلام أثناء إنتشاره مشكلات عدة وعقبات ، لكن استطاع الرواد الأوائل من المسلمين التغلب على هذه العقبات وذللوها فلم تقف حائلاً دون انتشار الدين الجديد في أرجاء القارة .

ولا شك في أن المسلمين اليوم في أفريقيا يواجهون مشكلات متعددة مماثلة ، وتحديد هذه المشكلات هي الخطوة الأولى لحلها .

ويمكن منذ البداية أن نفرق بين المشكلات التي تواجه المسلمين في الأقطار الأفريقية الإسلامية التي تدين رسمياً بالإسلام والتي يمثل المسلمون فيها أغلييه، وبين الوضع في الأقطار التي لا يزال المسلمون يمثلون فيها أقلية .

والمشكلات التي تواجه المسلمين الأفارقة عامة يمكن أن تدرج في الإطار التالى :

١ - مشكلات تتعلق بالنظام السياسى في الأقطار الإسلامية الأفريقية .

٢ - مشكلة الشريعة الإسلامية ومدى تطبيقها في هذه الأقطار .

- ٣ - مشكلات تتعلق بالأوضاع القبلية أو الإثنية .
 - ٤ - مشكلات تتعلق بعلاقة الأقطار الإسلامية بعضها مع البعض الآخر .
 - ٥ - مشكلات تتعلق بالجامعة العربية ومهمتها :
 - ٦ - مشكلات تتعلق بعلاقة الأقطار الإسلامية بالمنظمات الإقليمية والمنظمات العالمية .
 - ٧ - المشكلات الاقتصادية التي تعاني منها بعض الدول الأفريقية الإسلامية .
 - ٨ - مشكلات ثقافية تتعلق بموقف الدول الإسلامية من التيارات الثقافية المعادية .
 - ٩ - مشكلات تتعلق بعلاقات المسلمين الأفارقة بغيرهم من المسلمين في الأقطار الإسلامية الأخرى ، وكذلك علاقتهم بالمسلمين الموجودين في أقطار غير إسلامية خارج القارة الأفريقية (في أوربا ، وآسيا ، وأمريكا . . .) .
 - ١٠ - مشكلة الأقليات الإسلامية في الأقطار الإفريقية غير الإسلامية .
- ولنلقى نظرة على كل من هذه المشكلات وموقف المسلمين الأفارقة منها :
- ١ - مشكلات تتعلق بالنظام السياسي ونظم الحكم في الأقطار الأفريقية الإسلامية :

واجه المسلمون عامة هذه المشكلة بعد وفاة الرسول ﷺ متمثلة في مشكلة الخلافة .

وقد ناقش بعض المؤرخين أوجه الشبه وأوجه الاختلاف بين نظام الخلافة في الإسلام وبين مثلاً ما كان قائماً في الامبراطورية الرومانية القديمة^(١) وأثار بعض المؤرخين مسألة جمع الخليفة بين السلطين الزمنية والدينية .

(١) لمزيد من التفصيل يرجع إلى :

: Arnold , Thomas , W : The Caliphate (Oxford 1924) pp . 9 - 18 .

وقد اختلفت آراء علماء المسلمين حول شروط الخلافة وسلطة الخليفة ، وقد حاول السير توماس أرنولد - فى كتابه عن الخلافة أن يناقش الطريقة التى أنتخب بها كل من الخلفاء الراشدين الأربعة ، كما ناقش الظروف التى إنتقلت فيها الخلافة إلى الأمويين ثم العباسيين .

كما تناول فقهاء آخرون الأوضاع فى العالم الإسلامى عامة فى الوقت الحاضر وما يجب أن يتبع ذلك من تغيرات فى النظم الإدارية .

على كل لقد ظهرت مشكلة الإدارة والحكم فى الأقطار الإسلامية الأفريقية وترتب عليها للأسف إراقه دماء المسلمين - كما هو حادث فى الجزائر مثلاً ، ولاشك فى أن مصلحة المسلمين تستوجب أن تحسم هذه المشكلة بالطريقة السلمية حقناً لدماء المسلمين وحتى يتفرغ المسلمون لحل المشاكل الأخرى التى تواجههم .

٢ - مشكلة الشريعة الإسلامية - ومدى التزام الحكومات الإسلامية الأفريقية بتطبيقها :

هذه المشكلة ترجع بنا إلى الأوضاع التى كانت سائدة - فى بعض دول غرب أفريقيا الإسلامية - فعلى الرغم من أن الإسلام كان قد انتشر فيها لكن لم تكن أحكام الشريعة نافذة وقد أثارت هذه الأوضاع بعض العلماء والفقهاء من الأفارقة أنفسهم فقاموا بحركاتهم الإصلاحية التى أشرنا إليها من قبل .

والمعروف أن شمال أفريقيا وغربها وسودان ووادي النيل - كانت بيئات صالحة لنمو الحركات الإصلاحية ، وبعضها تأثر بالحركات الأخرى التى ظهرت فى أقطار أخرى من العالم الإسلامى - كالوهابية مثلاً - كما تأثرت هذه الحركات بالحركة الصوفية وغيرها من الحركات الإصلاحية التى نادى بأن يعود المسلمون فى سلوكهم وحياتهم للأوضاع السليمة التى كانت سائدة أيام الرسول - ﷺ وخلفائه .

والدساتير فى الأقطار الإسلامية الأفريقية تنص كلها تقريباً - على أن الإسلام

(١) انظر : مقدمة ابن خلدون ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

دين الدولة وتحاول الحكومات فى هذه الأقطار أن تلتزم فى قوانينها بمبادئ الشرع .
لكن هذا الإلتزام يختلف من قطر لآخر - كما أن قيوداً تحول أحياناً دون الإلتزام
الكامل والسليم بأحكام الشريعة .

ولا شك فى أن رجال الدين والفقهاء يستطيعون بالحكمة والموعظة والإرشاد
معاونة الحكومات الإسلامية فى هذه الأقطار لتطوير قوانينها وأحكامها لتلتزم تماماً
بأحكام الشريعة .

٣ - مشكلات ترتبط بالأوضاع القبلية والإثنية والعرقية فى الأقطار الأفريقية
الإسلامية :

- برزت هذه المشكلة بشكل صارخ فى الصومال مثلاً وهو قطر إسلامى من
أقطار الجامعة العربية ، وترتب على الصراع الدامى بين القبائل والفصائل المختلفة
والنزاع بينها على السلطة إلى سقوط مئات القتلى والجرحى وفرار عدة الآلاف
ولجؤهم للأقطار المجاورة حيث يعيشون فى خيام أو مراكز إيواء مؤقتة وينتظرون
الغوث من الهيئات الدولية وغيرها ، هذا بالإضافة إلى فصم وحدة البلاد وظهور
حركات انفصالية - وعدم وجود حكومة مركزية واحدة يخضع لها الكل وترتب على
ذلك تصدع أركان الدولة ووقف عمليات التنمية وغيرها .

فعلى الرغم من أن الشعب الصومالى يتميز بأنه أكثر الشعوب الأفريقية تجانساً
فى الأصول العرقية والثقافية إلا أنه ينقسم فى بثته الإجتماعية إلى ثلاث قبائل هى
الدارود ، والهاوية ، والإسحق - التى تنقسم بدورها إلى عشائر عديدة .

ولم تستطع أى من النظم التى حكمت الصومال بعد إستقلاله فى عام ١٩٦٠م
أن تحقق الاندماج الكامل بين هذه القبائل والعشائر .

وبعد رحيل سياد برى - سيطر المؤتمر الصومالى على العاصمة مقديشيو وعُقد
مؤتمر فى جيبوتى فى يولية سنة ١٩٩١م تقرر فيه تعيين على مهدي رئيساً مؤقتاً لتهيئة
البلاد لنظام ديمقراطى وإجراء انتخابات عامة - إلا أن الخلاف نشب بين الرئيس
المؤقت وبين الجنرال محمد فرح عيديد رئيس المؤتمر الصومالى الموحد - مما دفع

الطرفين إلى قتال راح ضحيته أكثر من خمسين ألف قتيل وتسعين ألف جريح -
وتقاسم الخصمان السيطرة على العاصمة مقديشو فأصبح الرئيس المؤقت يسيطر على
الجزء الشمالى ورئيس المؤتمر الصومالى الموحد يسيطر على مناطق أخرى .
وفى الوقت ذاته أعلنت قبائل الإسحق التى تسيطر على شمال الصومال -
الانفصال وأقامت ما يسمى (بأرض الصومال) .

وقد تعددت المحاولات من جانب المنظمة الدولية وتدخلت الولايات المتحدة
الأمريكية فى محاولة لسحب اسلحة القبائل المتنازعة بما عُرف بعملية (إعادة الأمل)
وبذلت محاولات لإغاثة المحتاجين والمتضررين من جراء الحرب وما جرته من
ويلات .

كما بذلت منظمة الوحدة الأفريقية جهوداً مضيئة لحل المشكلة ووقف نزيف
الدماء ، وساهمت مصر بالذات فى هذه المحاولات وعقد أكثر من مؤتمر فى إثيوبيا
برعاية الرئيس زيناوى .

وتدخلت الجامعة العربية وشكلت لجنة لبحث المشكلة الصومالية ، كما ساهم
المؤتمر الإسلامى فى محاولات إنقاذ الصومال من الوضع المتردى فيه ، وأضطرت
قوات الأمم المتحدة للإنسحاب من الصومال فى مارس ١٩٩٥م - ولا زالت تبذل
محاولات مكثفة من قبل الجامعة العربية والمؤتمر الإسلامى ومنظمة الوحدة الأفريقية
للتوفيق بين القبائل المتصارعة لإتاحة الفرصة لإقامة حكومة مركزية تُعد لإنتخابات
حرة وللاتفاق على أسس يرتضيها الكل لقيام نظام حكومى ثابت فى الصومال يُخرج
هذا البلد الإفريقى من محتته^(١) .

٤ - مشكلات بين الدول الأفريقية الإسلامية :

لعل مشكلات الحدود هى أبرز هذه المشكلات، والمعروف أن الدول الإستعمارية
حين قسمت القارة إلى مناطق نفوذ لم ترع الوحدة الإقليمية التى يعيش عليها جمع
مستقر من الناس ، ولم ترع العوامل الجغرافية أو الوحدة القبلية أو المصالح

(١) عن تطور مشكلة الصومال يرجع :

- قرارات الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن خلال أعوام ٩١ - ٩٥ .
- قرارات منظمة الوحدة الأفريقية ، والجامعة العربية بهذا الخصوص .

الاقتصادية بل لعب العامل الفردي دوراً رئيسياً في تحديد الوحدات السياسية في القارة .

وبالطبع الأفارقة أنفسهم لم يكن لهم دور في إنشاء الحدود بين أقطارهم - فالحدود السياسية بين الدول الأفريقية من النوع الذى يُطلق عليه (الحدود الفلكية) المتمثلة في خطوط مستقيمة تتمشى مع خطوط العرض والطول - وهى أسوأ أنواع الحدود^(١) . ولذا واجهت الدول الأفريقية بعد استقلالها هذه المشكلة .

ومن المشاكل التى نشبت بين الدول الأفريقية الإسلامية بخصوص الحدود مثلاً- مشكله الحدود بين المغرب والجزائر بخصوص المناطق الواقعة فى أقصى الجنوب حيث يوجد معدن الحديد فيها بالقرب من منطقة (تندوف) التى ضُمَّت للجزائر . وقد أدت هذه المشكلة لحروب بين البلدين العربيين الإسلاميين .

ومن المشكلات المرتبطة بالحدود - مشكلة الصحراء الغربية التى ترتبط بالمنطقة التى كانت أسبانيا تحتلها وتُطلق عليها إسم الصحراء الأسبانية أو وادى الذهب . فقد طالبت المغرب بعد استقلالها بهذه المنطقة - وقد ظهرت أهميتها بعد اكتشاف الفوسفات فى بوكرك (١٩٦٢م) ، وحين أُحيلت المشكلة على محكمة العدل الدولية - لم يكن قرارها حاسماً ، وقد أعلنت المغرب ما عُرف بالمسيرة الخضراء فى عام ١٩٧٥ م .

وفى ٢١ نوفمبر ١٩٧٥م حدث إتفاق بين أسبانيا والمغرب وموريتانيا على أن تترك أسبانيا إدارة المنطقة للمغرب وموريتانيا - لكن تطورت المشكلة بعد اعلان قيام الجمهورية الصحراوية فى ٢٧ فبراير ١٩٨٦م واعترف عدد من الدول بها ، وأدى الأمر لحرب بين البوليزاريو (الجناح العسكرى) للجمهورية الصحراوية وبين قوات المغرب وموريتانيا، وانسحبت موريتانيا من المشكلة واستمر النزاع بين المغرب والبوليزاريو ؛ وساندت الجزائر البوليزاريو عسكرياً وأدى اعتراف عدد ومن دول منظمة الوحدة

(١) عن مشكلات الحدود الأفريقية يرجع إلى :

Boggs , O , w . : International Boundaries (N . Y . 1960) .

الأفريقية بالجمهورية الصحراوية - لتعليق المغرب عضويتها فى المنظمة - ورغم قبول المغرب أخيراً لمبدأ الاستفتاء فى الصحراء الغربية ، لكن إلى الآن تتعثر جهود المنظمة الدولية لإجراء هذا الاستفتاء بسبب الخلاف على من لهم حق التصويت - وقد زار الأمين العام للأمم المتحدة المنطقة ، وكان الأمل فى إجراء الاستفتاء فى عام ١٩٩٥م حتى تنتهى هذه المشكلة التى استنزفت الكثير من الجهد والمال من كل الأطراف وحتى تستقر العلاقات الطيبة بين المغرب والجزائر- لكن تعثرت الجهود المبذولة لتحديد من يحق لهم الإدلاء بأصواتهم فى الاستفتاء مرة أخرى^(١) .

٥ - مشكلات تتعلق بالجامعة العربية :

أنشئت الجامعة العربية فى عام ١٩٤٥م بهدف دعم العمل العربى المشترك ، ومساندة الدول العربية (الإسلامية) فى كفاحها ضد الإستعمار وتحقيق المصالح المشتركة لدول الجامعة .

وقد ساهمت الجامعة العربية فى حل العديد من المشكلات العربية ، وساندت حركات التحرير فى الجزائر ، وتونس ، والمغرب وغيرها من الأقطار الأفريقية الإسلامية التى كانت تزرع تحت نير الإستعمار الأوروبى^(٢) . وأهمية الجامعة العربية فى دعم العمل العربى فى مختلف الأقطار العربية الإسلامية الإفريقية لا تحتاج لمزيد من التفصيل .

لكن قد تكون هناك سلبيات ووجهات نظر مختلفة فيما يتعلق بالدور الذى يمكن أن تقوم به الجامعة وفى ممارساتها وموقفها من القضايا والمشكلات العربية وهناك أصوات تُنادى بتعديل ميثاق الجامعة إلى غير ذلك من الإتجاهات .

(١) عن هذه المشكلة يرجع إلى :

شوقى الجمل : مشكلة الصحراء الغربية - الجذور التاريخية للمشكلة

(بحث قدم لندوة الجذور التاريخية للمشكلات الإفريقية المعاصرة ، معهد البحوث

الإفريقية بجامعة القاهرة ، مارس ، ١٩٩٥م) .

(٢) لمزيد من التفصيل يرجع لقرارات مجلس الجامعة العربية ولمحاضر جلساتها .

والمهم أن تتضافر الجهود الصادقة لتدعيم الجامعة حتى يمكن أن تؤدي مهمتها على خير وجه - ولا شك في أنها تستطيع أن تسهم بدور فعال في حل مشكلات الدول الإسلامية في أفريقيا بل وفي العام كله .

ولعل هذا يجرنا للحديث عن بعض المشكلات التي تواجهها بعض الدول الأفريقية الإسلامية كمشكلات الكوارث الطبيعية ، والجفاف والتصحر والسيول ، والزلازل وغيرها ، وواجب الدول الإسلامية الأفريقية الأخرى لتقديم العون والمساندة لهذه الدول المضارة .

٦ - مشكلات تتعلق بالعلاقة بالمنظمات الدولية والمنظمات الإقليمية :

الدول الأفريقية الإسلامية كلها أعضاء في منظمة الوحدة الأفريقية ، ومنظمة الأمم المتحدة ، ولا شك في أن هذه الدول الإسلامية تحس بالمشكلات الصارخة التي تعاني منها شعوب إسلامية سواء في أفريقيا أو في أوروبا أو غيرها من القارات .

وواجب هذه الدول أن تتفق على رأى موحد وموقف موحد لمساندة حقوق الشعوب الإسلامية ومصالحها - ووزن هذه الدول وعددها يجعلها قوة مؤثرة في اتخاذ القرار ، ويعمل لها حسابها .

ولعل مشكلات - كمشكلة البوسنة والهرسك ، ومشكلة المسلمين في الجمهوريات الإسلامية التي كانت ضمن الاتحاد السوفيتي وغيرها تُعطى أمثلة لما يمكن للمساندة الجماعية من الدول الإسلامية الأفريقية أن تحققه في هذا المجال وفي غيره من المجالات المماثلة .

٧ - المشكلات الاقتصادية التي تعاني منها بعض الدول الأفريقية الإسلامية :

أشرنا عند الحديث عن دور الجامعة العربية إلى هذه المشكلة بالذات وواجب الدول الإسلامية الأفريقية تجاهها .

ولا شك في أن المشكلة الاقتصادية من أعنف المشكلات التي تواجهها الدول النامية عامة ، وقد بذلت جهود لحل مشكلة مديونية هذه الدول ، وواجب دول

الشمال الغنية تجاه دول الجنوب التي أصبحت غير قادرة على القيام بما يجب للنهوض بمشروعات التنمية وغيرها من متطلبات الحياة فيها .

وواجب الدول الإسلامية الأفريقية أن تقدم ما تستطيع تقديمه سواء من الخبرة الفنية أو المادية أو غيرها لشقيقاتها في الدول الأفريقية الإسلامية الأخرى لمواجهة مثل هذه المشكلات .

٨ - مشكلات ثقافية تتعلق بموقف الدول الإسلامية من التيارات الثقافية المعادية :

الإسلام له مبادئه الواضحة والمألوفة للمسلمين في كافة الأقطار - وقد واجه المسلمون في أفريقيا - كما ذكرنا - في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تيارات وممارسات تخالف الإسلام وتعاليمه .

والدول الإسلامية الأفريقية في هذا القرن العشرين تواجه تيارات أعنف وثقافات ومبادئ تتنافى مع تعاليم وأخلاق الإسلام .

وواجب الدول الإسلامية الأفريقية أن تقف بحزم في وجه هذه التيارات خاصة ما يؤثر منها على الشباب ، فإنحرافات الشباب لاشك في أنها تعصف بقوة الشعوب والدول الإسلامية في القارة .

وهذا يوضح المسؤولية الخطيرة للوزارات المعنية بالثقافة والتعليم في الدول الإسلامية الأفريقية لتنقية المناهج والكتب ، ووسائل الثقيف والإعلام وتوجيهها لما يبني الفرد المسلم الصحيح المتمسك بتعاليم دينه .

والإذاعة المصرية ، وما حققت من طفرة كبيرة لتطوير قنواتها ، وليصل إرسالها لمختلف الأقطار العربية والإسلامية - خطوة في هذا المجال .

٩ - مشكلات تتعلق بعلاقة المسلمين الأفارقة بغيرهم من المسلمين في الأقطار الإسلامية الأخرى :

لاشك في أن المسلمين في العالم كله مفروض أنهم كالبنيان يشد بعضه أزر بعض .

فإذا كان الواجب يحتم على المسلمين فى باقى الأقطار الإسلامية خارج القارة أن يقدموا للمسلمين الأفارقة أيدى العون والمساعدة لحل مشكلاتهم السياسية والإقتصادية والإجتماعية - فمن واجب المسلمين أيضاً فى الأقطار الأفريقية أن يرتبطوا عاطفياً وثقافياً ودينياً مع باقى قضايا العالم الإسلامى . ولعل المؤتمر الإسلامى له دور فعال ويسهم فى هذا المجال - فهناك قضايا إسلامية هامة تهم المسلمين جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها ويستلزم حلها الحل الأمثل تضافر المسلمين فى جميع القارات والأقطار لحل هذه المشكلات .

ولعل إجتماع المسلمين الأفارقة - وغير الأفارقة - فى مثل هذه المؤتمرات الهامة الجادة - تسهم فى حل هذه المشكلات وبالطبع فى هذا المجال لا يقتصر الأمر على القرارات بل أن توضع موضع التنفيذ ، وأن تكون هناك متابعة كاملة لما اتخذ من قرارات وما نفذ منها وما لم ينفذ والعوائق التى تحول دون التنفيذ .

١٠ - مشكلة الأقليات الإسلامية فى أفريقيا :

إذا كان للمسلمين الأفارقة فى أقطارهم التى يمثلون فيها أغلبية مشكلاتهم فلاشك فى أن المسلمين فى جنوب أفريقيا مثلاً وفى غيرها من الأقطار التى يمثلون أقلية فيها - لهم مشكلاتهم التى قد تكون أشد عنفاً من مشكلات إخوانهم فى الأقطار التى يمثل المسلمون فيها أغلبية .

فهناك وضع هذه الأقلية الإسلامية - وحقوقها بالنسبة لحقوق الأغلبية - ومدى ما تتمتع به من حرية فى ممارسة شعائرها الدينية .

كل هذه وغيرها مشكلات تحتاج للمداخلة والتعاون بين الدول الإسلامية الأفريقية الأخرى وغيرها من الدول الإسلامية لحل مثل هذه المشكلات - لمساندة هذه الأقليات الإسلامية لتمتع بحقوقها .

ولا شك فى أن من حق هذه الأقليات الإسلامية أن تلقى المساندة من الهيئات الدبلوماسية للدول الإسلامية فى الدولة التى تعيش فيها هذه الأقليات .

* * *

خاتمة

تعرضنا فى صفحات هذا البحث لتاريخ المسلمين فى القارة الأفريقية وأوضحنا كيف دخل الإسلام فى القارة وانتشر انتشاراً سريعاً ويسر وعن طريق المعاشة والمعاملة الطيبة سواء للتجار المسلمين أو لغيرهم من المسلمين الذين وفدوا للقارة وترتب على ذلك أن أصبح كما ذكرنا أكثر من ٥٠ ٪ من مواطنى القارة مسلمين يمثلون الجناح الأفريقى للأمة الإسلامية

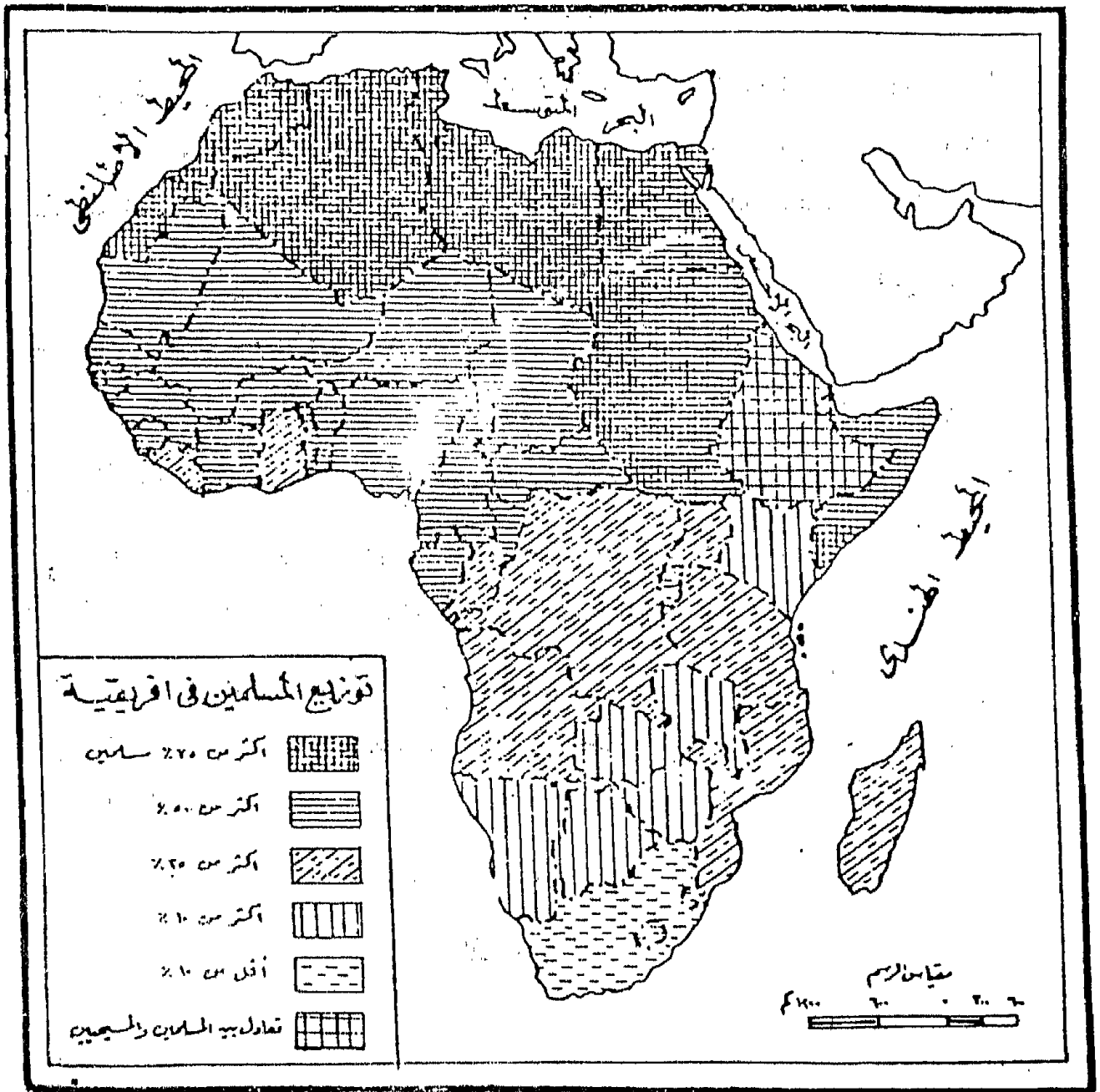
ولا شك فى أن الأبواب مفتوحة أمام الإسلام والمسلمين ليتتشر الدين الحنيف إلى اقطار أخرى فى أفريقيا ولتدخل فيه شعوب أفريقية لا تزال بعيدة عنه .
وإذا كان للمسلمين فى أفريقيا - كغيرهم - مشكلاتهم - فكما ذكرنا فإن تحديد هذه المشكلات ووضع أيدينا على أسبابها يسهم فى حلها .

والدراسة المتأنية والمدققة لتاريخ الإسلام والمسلمين فى القارة ولما واجههم فى سبيل نشر رسالتهم وما يواجههم اليوم - هى الطريق السليم لنشر الإسلام وتعاليمه على نطاق أوسع .

وهذا هو واجب المسلمين دولاً وأفراداً

والله المعين

الباحثان



(شكل رقم ٨)

المصادر والمراجع

أولا : مراجع عربية أو معربة :

- ١ - ابن الاثير : الكامل فى التاريخ - ج٢ (بولاق ١٢٧٤هـ) .
- ٢ - ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر (بولاق ١٢٢٠هـ) .
- ٣ - ابن عبد الحكم : فتوح مصر (القاهرة ١٩١٤م) .
- ٤ - ابن هشام ، أبو محمد عبد الملك بن هشام : كتاب سيرة رسول الله (١٣٢٢هـ) .
- ٥ - أبو العباس أحمد بن محمد المقرئ : نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب (بولاق ١٨٦٢هـ) .
- ٦ - أبو سليم ، محمد إبراهيم : الحركة الفكرية فى المهديّة (١٩٧٠م) .
- ٧ - إحسان حقى : تونس العربية (د . ت) .
- ٨ - أحمد العوامرى بك ، محمد جاد المولى : مهذب رحلة ابن بطوطة (مطبعة بولاق) .
- ٩ - أحمد بن الحاج أبو على (كاتب الشونة) : تاريخ مدينة سنار (مخطوط بدار الكتب المصرية ، برقم ٢١٨) .
- ١٠ - أحمد بن خالد السلاوى الناصرى : الإستقصاء لأخبار المغرب الأقصى (الدار البيضاء ١٩٥٤ / ١٩٥٦) .
- ١١ - آدم عبد الله الألورى : الإسلام فى نيجيريا (بيروت ١٩٧١م) .
- ١٢ - بوركهارت ، جون لويس : رحلات بوركهارت فى بلاد المغرب ، السودان نقلها للعربية فؤاد أندراوس (١٩٥٦م) .

- ١٣ - البلاذرى: فتوح البلدان ١٩٣٢م .
- ١٤ - توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام (معرب - القاهرة ١٩٥٧م) .
- ١٥ - جمال الدين الدناصورى وآخرون : جغرافية العالم - دراسة اقليمية (د . ت) .
- ١٦ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ عمرو بن العاص (القاهرة ١٩٢٦م) .
- ١٧ - حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسى (١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م) .
- ١٨ - حسن أحمد محمود : انتشار الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا جا (١٩٨٦م) .
- ١٩ - حسن أحمد محمود : قيام دولة المراهطين (القاهرة ١٩٥٧م) .
- ٢٠ - حسين المفتى : تطور نظام القضاء فى السودان (د . ت) .
- ٢١ - حمدى السيد سالم : الصومال قديماً وحديثاً (١٩٦٥) .
- ٢٢ - زاهر رياض : كنيسة الإسكندرية فى أفريقيا (١٩٦٢م) .
- ٢٣ - زاهر رياض : الإسلام فى إثيوبيا (١٩٦٦م) .
- ٢٤ - زاهر رياض : تاريخ إثيوبيا (١٩٦٦م) .
- ٢٥ - سليمان كشه : اللواء الأبيض (الخرطوم ١٩٦١م) .
- ٢٦ - الشاطر بوصيلى عبد الجليل : معالم تاريخ السودان وادى النيل (١٩٥٠م) .
- ٢٧ - شوقى عطا الله الجمل : الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الأحمر (١٩٥٨م) .
- ٢٨ - شوقى عطا الله الجمل : تاريخ السودان وادى النيل وعلاقاته بمصر جا (١٩٦٩م) .

٢٩ - شوقى عطا الله الجمل : تاريخ السودان وادى النيل وعلاقاته بمصر ج٢،
(١٩٦٩ م) .

٣٠ - شوقى عطا الله الجمل : تاريخ السودان وادى النيل وعلاقاته بمصر ج٣
(١٩٨٠ م) .

٣١ - شوقى عطا الله الجمل : المغرب العربى الكبير فى العصر الحديث
(١٩٧١ م) .

٣٢ - شوقى عطا الله الجمل : سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف
الثانى من القرن التاسع عشر (١٩٧٤ م) .

٣٣ - شوقى عطا الله الجمل : الأزهر ودوره السياسى والحضارى فى أفريقيا
(١٩٨٨ م) .

٣٤ - صلاح العقاد ، جمال زكريا : زنجبار (القاهرة ١٩٥١ م)

٣٥ - صلاح العقاد : الجزائر المعاصرة (١٩٦٤ م) .

٣٦ - عبد الرحمن زكى : تاريخ الدول الإسلامية السودانية بغرب أفريقيا
(١٩٦١ م) .

٣٧ - عبد الرحمن زكى : المراجع العربية فى غرب أفريقية (١٩٦٨ م) .

٣٨ - عبد الرحمن السعدى : تاريخ السودان - نشره هوداس (١٨٩٨ م) .

٣٩ - عبد العزيز كامل : جغرافية الإسلام فى أفريقية (د . ت) .

٤٠ - عبد العزيز محمد الشناوى : الأزهر جامعاً وجامعة جزاءن (١٩٨٣ م /
(١٩٨٤ م) .

٤١ - عبد العزيز محمد عبد المجيد : التربية فى السودان والأسس النفسية
الاجتماعية التى قامت عليها - ٣ أجزاء ، القاهرة (١٩٥٦ م) .

٤٢ - عبد الكريم السيد : اللواء الأبيض وثوره ١٩٢٤م (الخرطوم ١٩٧٠م) .

- ٤٣ - عبد الله المشد ، ومحمد خليفة : تقرير عن أحوال المسلمين فى بلاد الصومال ، وازيتريا ، وأوغنده ، والحبشة (١٩٥١م) .
- ٤٤ - عبد الله بن خلفان بن قيصر : سيرة الإمام ناصر بن رشد (مخطوط - بالمحفوظات بلندن رقم ٢٣٤٣) .
- ٤٥ - عبد الله بن سليم الأسوانى : أخبار النبوة ، والمقرة ، وعلوة ، والبجة والنيل (د . ت) .
- ٤٦ - عبد الله عبد الرازق أبراهيم : الإسلام والحضارة الإسلامية فى نيجيريا (١٩٨٤م) .
- ٤٧ - عبد الله عبد الرازق أبراهيم : أضواء على الطرق الصوفية فى القارة الإفريقية (١٩٩٠م) .
- ٤٨ - عبد الله عنان : عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والأندلس (١٩٦٤م) .
- ٤٩ - عبد الله عنان : نهاية الأندلس ، وتاريخ العرب المستعصرين (القاهرة ١٩٦٦م) .
- ٥٠ - عبد الواحد المراكشى : المعجب فى تاريخ المغرب (١٩٤٩م) .
- ٥١ - عرب فقيه ، شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن عثمان : فتوح الحبشة (نشره رينيه باسيه - حققه فهم شلتوت ونشرته الهيئة العامة للكتاب بمصر ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) .
- ٥٢ - العمرى : مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار (مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٥٥٩ - معارف عامة) .
- ٥٣ - الفشتالى : مناهل الصفا فى مآثر موالينا الشرفا (تحقيق عبد الكريم كريم نشرته دار الأوقاف بالرباط ١٩٧٤م) .

- ٥٤ - فيليب رفله : الجغرافية السياسية لأفريقيا (١٩٦٥ م) .
- ٥٥ - مؤرخ مجهول : تاريخ الدولة السعدية الدرعية التاكمارتية (نشره جورج كولان - ١٩٣٤ م) .
- ٥٦ - محمد المعتصم : مهدى الصومال - بطل الثورة ضد الإستعمار (١٩٦٥ م) .
- ٥٧ - محمد بن عمر التونسي : تشييد الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان (نشره محققاً د . خليل عساكر ، د . مصطفى مسعد) .
- ٥٨ - محمد بلو : انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور (مطبعة الأزهر ١٩٦٤ م) .
- ٥٩ - محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المضرة البريطانية (القاهرة ١٩٥٦ م) .
- ٦٠ - محمد ضيف الله محمد (ود ضيف الله) : الطبقات في خصوص لأولياء رصالحين والعلماء (الخرطوم ١٩٣٠ م) .
- ٦١ - محمد عبد الغنى سعودى : أفريقية - دراسة في شخصية القارة شخصية الإقليم (١٩٨٣ م) .
- ٦٢ - محمد عثمان أبو بكر : تاريخ إريتريا المعاصر (١٩٩٤ م) .
- ٦٣ - محمد عوض محمد : السودان الشمالى ، سيكانه وقبائله (١٩٥١ م) .
- ٦٤ - محمود الشنيطى : قضية ليبيا (١٩٥١ م) .
- ٦٥ - محمد كعت : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيش وأكابر الناس ترجمه هوداس وديلافوس - باريس ، ١٩٦٢ م) .
- ٦٦ - السعودى : مروج الذهب ومعادن الجواهر (القاهرة ١٣٤٦ هـ) .
- ٦٧ - مصطفى محمد مسعد : الإسلام والتوبة في العصور الوسطى (١٩٥٠ م) .

- ٦٨ - المقریزی : الخطط ج١ ، (١٣٢٤هـ) .
٦٩ - المقریزی : الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام (نشره د.رنك) .

- ٧٠ - مكى شبيكه : السودان فى قرن ١٨١٩ - ١٩١١ (١٩٤٧) .
٧١ - المنجى الكعبى : تحقيق وتقديم لقطعة من كتاب الرقيق القيروانى - تاريخ أفريقية والمغرب (تونس ١٩٦٨م) .

٧٢ - نعوم شقير : تاريخ السودان الحديث وجغرافيته ج٢ (١٩٠٣م) .

٧٣ - نعيم قداح : أفريقيا الغربية فى ظل الإسلام (دمشق ١٩٤٠م) .

ثانيا : أبحاث فى دوريات أو ندوات علمية :

- ١ - شوقى الجمل : ولاية الحبش العثمانية بين إياله جده والإدارة المصرية ودورها فى الأمن القومى العربى (بحث ألقى فى الندوة العالمية الخاصة بمصر والجزيرة العربية - كلية آداب القاهرة (أبريل ١٩٩٣م) .
٢ - محمد الفاسي : معركة وادى المخازن الحاسمة .

(مجلة البحث العلمى بالرباط - العدد الرابع ، ديسمبر ١٩٦٦م) .

- ٣ - محمد عبد الغنى سعودى : الصومال عضو جديد فى الجامعة العربية (مجلة البحوث والدراسات العربية ، العدد الخامس ، يونية ١٩٧٩م) .

٤ - مدثر عبد الرحيم : الإسلام والسياسة فى السودان (بحث قدم فى المؤتمر الأول لجماعة الفكر والثقافة الإسلامية بالخرطوم ، ٢٩ محرم - ٤ صفر ١٤٥٣هـ / نوفمبر ١٩٨٢م) .

- ٥ - مصطفى محمد مسعد : الإسلام وحركات القولانى الإصلاحية فى غرب أفريقيا (مجلة جامعة أم درمان الإسلامية ، العدد الأول ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م) .

نالكثا : رسائل جامعية (غير منشوره) :

- ١ - حلمى جرجس غبريال : موقف الإدارة فى السودان من الحركة الوطنية خلال الحربين العالميتين (رسالة دكتوراه - جامعة القاهرة) .
- ٢ - حسن على منيسى : رابع فضل الله الزبير ودوره فى مقاومة الإستعمار فى أفريقيا (رسالة ماجستير - معهد البحوث والدراسات الأفريقية - بجامعة القاهرة ، بإشراف د . شوقى الجمل) .
- ٣ - راجيه محمد عفت : الثقافة العربية فى شرق أفريقيا (رسالة دكتوراه - معهد البحوث الأفريقية ، ١٩٨٠ م) .
- ٤ - عبد النبى على أحمد على : الصراع العمانى البرتغالى فى شرق أفريقيا (رسالة دكتوراه معهد البحوث والدراسات الأفريقية بجامعة القاهرة ، بإشراف د . شوقى الجمل) .
- ٥ - محمود سمير أحمد محمد التابعى : عثمان فودى (رسالة ماجستير ، معهد البحوث الأفريقية ، ١٩٧٧ م . بإشراف د . شوقى الجمل) .
- ٦ - نصر الدين رشوان حسن : دولة سامورى فى غرب أفريقيا (١٨٧٢ - ١٨٩٨ م) (رسالة دكتوراه من معهد البحوث الأفريقية ، بجامعة القاهرة ١٩٧٩ م) .

* * *

رابعاً - مراجع باللغات الأجنبية :

- 1 . Alford and Sword : The Egyptian Sudan Its Loss and Recovery (London 1996) .
- 2 . Allen , B . H . : Gordon and The Sudan (London 1931) .
- 3 . Arnold , Thomas : The Caliphate (Oxford 1929) .
- 4 . Bovill , E . W . : The Golden Trade of The Moors (London 1956) .
- 5 . Blant , W . S . : Gordon at khartoum (London 1923) .
- 6 . Boggs , S . W . : International Boundaries (N . Y . 1963) .
- 7 . Budge , E . A . Wallis : The Egyptian Sudan , Its History and Monuments Vol . 2 (London 1901) .
- 8 . Burns , Alan : History of Nigeria 1955 .
- 9 . Buttler , Alfred : The Arab Conquest of Egypt (Oxford 1902) .
- 10 . Churchill , W . : The River War , An Account of the conquest of the Sudan (London 1933) .
- 11 . Coupland , R . : East Africa and Its Invaders (London 1938) .
- 12 . Crowder , M . : The Story of Nigeria (London 1960)
- 13 . Davidson , Basil : The Growth of central Africa Civilisation 1963 .
- 14 . Deschamps , H . : Les Religions De L ' Afrique Noir (1945) .
- 15 . Dubois , E . : Tomboucto La Mysterieuse (Paris 1981) .
- 16 . Dubois , F . : Islam Noir (Paris 1899) .

- 17 . Duffy , James : Portuguese Africa (London 1951) .
- 18 . Fage : An Introduction To The History of West Africa (Cambridge 1955) .
- 19 . Gordon : The journals of Major , Gen , Gordon , at Khartoum (Leipzig 1960) .
- 20 . Graftan , Milne : History of Egypt Under Roman Rule(London 1913)
- 23 . Hill , Richard . Egypt In The Sudan 1820 - 1981 (London 1959) .
- 24 . Holt , P . M . : The Mahdist State In The Sudan (Oxford 1958) .
- 25 . Hoskins : British Routes to India (1928) .
- 26 . Jardine , D . : The Mad Mullah of Somali Land (1963).
- 27 . John Ston , H . : History of the Colonization of Africa by Alien Races (Cambridge 1913) .
- 28 . Junker : Travels in Africa Vol . 111 (London 1890) .
- 29 . Lewis , I . M . : The Modern History of Somali Land (London 1965) .
- 30 . Lewis , I . M . : Islam in Tropical Africa (Oxfoed 1960) .
- 31 . Mac . Michael : A History of the Arabs In The Sudan (Cambridge 1922) .
- 32 . Meek , C . K . , : The Northern Tribes of Nigeria . (London 1928) .
- 33 . Muddathir , Abdal Rahim : Imperialism and Nationalism in the Sudan (Oxford 1969) .
- 34 . Slatin , R . : Fer et Feu Au Soudan (Le Caire 1898) .

- 35 . Touval , s . : Touval , s . Somali Nationalism (Cambridge 1965) .
- 36 . Trimingham , Spencer : Islam in The Sudam (1949) .
- 37 . Trimingham , Spencer : Islam in Ethiopia (1952) .
- 38 . Trimingham , Spencer : Islam in East Africa (Oxford 1964) .
- 39 . Trimingham , Spencer : Islam in West Africa (Oxford 1964) .
- 40 . Wingate , Major : Report to the Sirdar (15 th nov . 1891) .

خامسا : دوريات أجنبية :

Brivar , A . D . D . H . : Wathigat Ahl - Al Sidan (Journal of African History vol . 11 , no . 2 , 1961) .

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة :	(٣ - ٤)
تمهيد :	(٥ - ١٦)
أولاً : دخول الإسلام في أفريقيا :	٥
- أفريقيا وشبه الجزيرة العربية .	
- علاقة العرب بأفريقيا قبل الإسلام .	
- الإسلام يُعطى دفعة قوية للعرب للخروج من شبه جزيرتهم لنشر الدين الإسلامى والتعريف به .	
- هجرة المسلمين لشرق القارة .	
ثانياً : الطرق التى سلكها الإسلام فى انتشاره فى القاره :	١٠
طريق المحيط الهندى - باب المندب - البحر الأحمر - شبه جزيرة سيناء - مصر كقاعدة للإنطلاق الإسلامى فى أفريقيا - المغرب كقاعدة لإنطلاق الإسلام فى أفريقية - الهجرة من الملايو ، وشبه القارة الهندى وباكستان واثرها فى نشر الإسلام فى أفريقيا .	
ثالثاً تحديد أرض الإسلام فى القارة :	١٤
الحدود الشمالية - الحدود الشرقية - الحدود الغربية	
الفصل الأول : المسلمون فى شرق أفريقيا :	(١٧ - ٤٠)
أولاً : المسلمون فى ساحل أفريقيا الشرقى :	١٧
اكتشاف البرتغال لطريق رأس الرجاء الصالح ووصولهم لشرق افريقيا وآثر ذلك على الإمارات الإسلامية بشرق القارة .	

- المسلمون يستعيدون نفوذهم في شرق القارة (دور عمان في ذلك)

٢٢

ثانياً : المسلمون في الحبشة (إثيوبيا) ، وإرتريا :

- العلاقات العربية الحبشية قبل الإسلام
- هجرة المسلمين للحبشة
- استمرار الهجرات الإسلامية للحبشة وإستقرار المسلمين في السهول المحيطة بالهضبة

- الصدام بين الأحباش والمسلمين
- البرتغال تساند الحبشة في حربها ضد المسلمين
- إمارة عدل الإسلامية وحروبها ضد الحبشة
- الإمام أحمد بن إبراهيم وجهاده

٣١

إرتريا وإثيوبيا :

- ولاية الحبش العثمانية ودورها في الصراع بين المسلمين والأحباش
- إيطاليا وتكوين مستعمره إريتريا
- الاتحاد الفيدرالي بين إرتريا وإثيوبيا
- ضم إثيوبيا إريتريا وقيام حركة تحرير إريتريا
- إستقلال إريتريا

٣٣

ثالثاً : المسلمون في الصومال :

- الإرتباط بين الأمة الصومالية والأمة العربية
- الهجرات الإسلامية إلى ساحل الصومال
- العداء بين مسلمي الصومال والحبشة

- الطرق الصوفية ودورها في نشر الإسلام في الصومال .
- مصر تمد إدارتها للصومال لتدراً عنه أطماع الدول الاستعمارية
- الدول الاستعمارية تقسم النفوذ في الصومال .
- مهدي الصومال (محمد بن عبد الله حسن) وجهاده ضد

المستعمرين :

- استقلال الصومال في عام ١٩٦٠م .

٤١ الفصل الثاني : انتشار الإسلام في مصر والمغرب :

٤١ أولاً : انتشار الإسلام في مصر :

- أحوال مصر قبل الفتح العربي .
- فتح مصر - خط سير الحملة .

٤٥ ثانيا : إمتداد النفوذ الإسلامي إلى المغرب :

- دور عبد الله بن سعد بن أبي السرح - دور عقبة بن نافع .
- البربر ومقاومتهم للفتح العربي وخضوعهم وانضمامهم لجيوش المسلمين .

- استقرار الأمر للمسلمين في الشمال الأفريقي كله .

وقيام دول اسلامية مستقلة بالمغرب العربي

- الخلافة الفاطمية بأفريقية ثم مصر .

- ! - المرابطون في المغرب العربي - تأسيس مراكش .

- المغرب يساند الوجود الإسلامي بالأندلس .

- الدولة الموحدية بالمغرب .

- يعقوب المنصور وإتمام إنشاء الرباط .
- تعرض البلاد الإسلامية بشمال أفريقيا للأطماع البرتغالية والأسبانية .
- الدولة العثمانية تمد نفوذها لمصر والشمال الأفريقي كله ما عدا المغرب الأقصى .
- السعديون في المغرب الأقصى ووقوفهم في وجه الأطماع الإستعمارية - معركة وادي المخازن الحاسمة .
- المنصور السعدي ومد النفوذ المغربي جنوباً في السودان .
- الفصل الثالث : انتشار الإسلام في بلاد النوبة ، والسودان ، ووادي النيل : (٥٧ - ٨٣)
- ٥٧ أولاً : انتشار الإسلام في بلاد النوبة :
- بلاد النوبة قبيل إنتشار الأسلام بها .
- ممالك النوبة المسيحية .
- إنتشار الإسلام والثقافة العربية في بلاد النوبة ومراحله .
- ثانياً : انتشار الإسلام في سودان ووادي النيل وتكوين سلطنات إسلامية فيه : ٦٤
- هجرة القبائل من مصر ، ومن شبه الجزيرة العربية للسودان .
- أهم القبائل العربية التي وفدت للسودان .
- السلطنات الإسلامية في السودان :
- (أ) سلطنة الفونج في سنار .
- (ب) سلطنة الفور في دارفور .

- (ج) سلطنة تغلى فى جبال النوبا .
- السودان تحت الإدارة المصرية :
- (أ) حملات محمد على للسودان
- إخضاع سنار وكردفان للإدارة المصرية .
- إنشاء وتعمير الخرطوم .
- زيارة محمد على للسودان - رحلات محمد سليم قبطان للكشف عن منابع النيل .
- (ب) زيارة محمد سعيد ، وما تم فى السودان فى ظل الإدارة المصرية .
- (ج) إمتداد الإدارة المصرية لحدود السودان الطبيعية فى عهد إسماعيل .
- الحركة المهدية فى السودان .
- استرداد السودان ، واتفاقية الحكم الثنائى (يناير ١٨٩٩)
- الحركة الوطنية السودانية .
- إتفاق الحكم الثنائى .
- تقرير المصير للسودانيين وقيام جمهورية السودان المستقلة .
- الإسلام فى السودان فى ظل المتغيرات السياسية السابقة .
- الفصل الرابع : انتشار الإسلام فى غرب أفريقيا وقيام الحركات الإسلامية الاصلاحية فى هذه البلاد :
- (٨٥ - ١٠٥)
- المراحل التى مر بها الإسلام فى انتشاره بين شعوب غرب أفريقيا :

- الحضارة العربية الإسلامية فى كاسونجو عاصمة مملكة المرجبى فى
أعالى الكونغو .
- الحضارة الإسلامية فى زنجبار
- اللغة السواحيلية مزيج من اللغة العربية واللغات الأفريقية التى
كانت سائده بساحل أفريقيا الشرقى .
- مصر الإسلامية والحضارة العربية بها .
- دور الأزهر الحضارى .
- أنتشار الحضارة العربية فى بلاد النوبة وسودان ووادى النيل .
- الحضارة والنظم الإسلامية فى السلطنات الإسلامية بالسودان قبل
الفتح المصرى .
- الإدارة المصرية فى السودان ودورها فى نشر الحضارة الإسلامية
فد .
- الأوضاع فى جنوب السودان وجهود بريطانيا لعرقلة وصول
الحضارة العربية له .
- غرب القارة ، وانتقال الحضارة الإسلامية إليه : ١١٥
- الثقافة الإسلامية بغرب القارة .
- مؤلفات (مخطوطات) علماء غرب أفريقيا فى مكتبة إيبادان وغيرها .
- الإمبراطوريات الإسلامية بغرب القارة وانتشار الحضارة الإسلامية
- تشجيع حكام هذه الممالك بغرب القارة للعلماء المسلمين وغيرهم
للإقامة بها ، وتقليدهم ما كان سائداً فى المشرق والمغرب الإسلامى .

- الحضارة العربية الإسلامية فى كاسونجو عاصمة مملكة المرجبى فى
أعالى الكونغو .

- الحضارة الإسلامية فى زنجبار

- اللغة السواحيلية مزيج من اللغة العربية واللغات الأفريقية التى
كانت سائده بساحل أفريقيا الشرقى .

- مصر الإسلامية والحضارة العربية بها .

- دور الأزهر الحضارى .

- أنتشار الحضارة العربية فى بلاد النوبة وسودان ووادى النيل .

- الحضارة والنظم الإسلامية فى السلطنات الإسلامية بالسودان قبل
الفتح المصرى .

- الإدارة المصرية فى السودان ودورها فى نشر الحضارة الإسلامية

فدء

- الأوضاع فى جنوب السودان وجهود بريطانيا لعرقلة وصول
الحضارة العربية له .

١١٥ - غرب القارة ، وانتقال الحضارة الإسلامية إليه :

- الثقافة الإسلامية بغرب القارة .

- مؤلفات (مخطوطات) علماء غرب أفريقيا فى مكتبة إيبادان وغيرها .

- الإمبراطوريات الإسلامية بغرب القارة وانتشار الحضارة الإسلامية

بها .

- تشجيع حكام هذه الممالك بغرب القارة للعلماء المسلمين وغيرهم

للإقامة بها ، وتقليدهم ما كان سائداً فى المشرق والمغرب الإسلامى .

الفصل السادس : المشكلات التي يواجهها المسلمون في أفريقيا :

(١٢٣ - ١٣٢)

- مشكلات تتعلق بالنظام السياسي في الأقطار الأفريقية .
- مشكلات الشريعة الإسلامية ومدى تطبيقها .
- مشكلات تتعلق بالأوضاع القبلية والعرقية
- مشكلات بين الأقطار الأفريقية الإسلامية بعضها والبعض الآخر .
- مشكلة تتعلق بالجامعة العربية ومهمتها .
- مشكلات تتعلق بالعلاقة مع الأقطار الإسلامية الأخرى وبالعالم الخارجى ومنظمة الوحدة الأفريقية والمنظمات الدولية .
- مشكلات إقتصادية .
- مشكلات ثقافية تتعلق بموقف المسلمين من التيارات الثقافية والحضارية العالمية .
- مشكلات تتعلق بعلاقات المسلمين الأفارقة بغيرهم من المسلمين .
- مشكلة الأقليات الإسلامية في الأقطار الأفريقية غير الإسلامية

١٣٣

خاتمة :

(١٣٥-١٤٤)

المصادر والمراجع

٤٥.

محتويات الكتاب *